جذور الإرهاب في النص التوراتي

مصلح الهباهبه



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : جذور الإرهاب في النص التوراتي

المـؤلف : مصلح الهباهبه

تصميم الغلاف: الفنان خلدون غرايبة

رقم الايداع ٢٠١٧/١١٢٨٥

الطبعة الأولى ٢٠١٥



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

المحتويات

إهداء

إلى كل القابضين على الجمر.

الطريق طويل وشاق ولا يجتازه إلا مؤمن بقضيته.

مصلح الهباهبه

تقديم

كثيرون وأنا منهم يؤمنون بأن مواجهة الفكر تبدأ بالفكر نفسه، وليس بالسلاح وحده، فـ « نفايات العالم » تجمعت في فلسطين المحتلة بدعوى أنها « أرض الميعاد »، وهي فكرة استندت إليها الحركة الصهيونية في خداع اليهود، وفي إقناع المجتمع الدولي بأحقيتهم في احتلال الأراضي الفلسطينية، وإقامة « تجمع » صهيوني، ما يحدو بنا إلى دحض هذه الأفكار المغلوطة، بالتوازي مع المقاومة المشروعة، فمواجهة الفكر بالفكر والمقاومة خطان متوازيان !

فالمتتبع لكتاب « العهد القديم » منذ بدايته يجد حالة من التأصيل والترسيخ لفلسفة الحرب لدى أصحاب الفكر الصهيوني، وهي الفلسفة القائمة على اغتصاب حقوق الآخرين، فثمة دعوى تؤكد بأن العقيدة الصهيونية تطبَّع برباط وثيق بين «حرب إسرائيل»، و «رب إسرائيل»، حينما يصبح هذا الرب هو «رب الجنود»، الذي يمهد للصهاينة

السبيل لتحقيق مآربهم في الغزو، والاحتلال، وطرد الشعوب.

خيراً فعل الصديق مصلح الهباهبه، حينما تتبع « جذور الإرهاب في النص التوراتي » للإجابة على كل القابضين على الجمر، الذين يعلمون أن عدوهم الصهيوني يستند في اغتصابه للأرض والمال والعِرض على نصوص توراتية، وفتاوى جديدة ـ قديمة تُشرِّع مزاعم الصهاينة في فلسطين، وهي الفتاوى التي تتجدد عند كل عملية عسكرية، أو حرب صهيونية جديدة، وكأن الحاخامات الصهاينة يجددون أمل هؤلاء « النفايات » في البقاء على الأراضي العربية، بدعاوى دينية!

استهل الهباهبه كتابه الجيد بالإجابة المباشرة على طرحه المهم : « لماذا هذا الكتاب ؟! »، بأن العنصرية والتمييز وفكرة إبادة الأخضر واليابس، وقتل الآخر من الأغيار، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر التوراتي، وهي الأفكار التي يعتقدون أنها أمر إلهي، وعبادة يتقربون بها إلى ربهم.

وبدعوى تحقيق وعد الرب، على اعتبار أن كل جريمة يرتكبها الصهاينة لها ما يشرعنّها، فإن النصوص التوراتية التي أكثر الهباهبه في الاستشهاد بها يعدها قادة وزعماء الصهيونية قوانين شرعية، كشريعة مقدسة لاستئناف البعث الإسرائيلي في فلسطين، ومصادر للوحي بمثابة « دروب » يهتدي بها الصهاينة في مواجهتهم للفلسطينيين، وقوانين تلفحّوا بها، فعدّوا « الإرهاب » سلاحاً وعقيدة دينية، ما لبثت أن أصبحت سلاحاً تقتحم به المجتمعات الأخرى، وتخترقها من خلاله !

ولكم أسعدني الزميل الهباهبه في اعتماده في مصادره ومراجعه المهمة على كتابي « شريعة الملك .. شريعة قتل الأغيار »، المترجم عن اللغة العبرية، والصادر عن مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، قبل عدة سنوات، دون سابق معرفة، وهو الكتاب الفاضح للكيان وقياداته، خاصة وأنه يبيح قتل الأطفال الرُضَّع من الأغيار بدم بارد، والمستند على مئات النصوص التوراتية، والفتاوى الدينية اليهودية.

أوجز العزيز الهباهبه فأنجز في كتابه المهم، والذي يأتي في وقت نحن أحوَّج إلى خروج مثل هذه الكتب التي تحمل أفكاراً قوية تفنَّد فيها الإدعاءات الصهيونية، وتكشف الوجه القبيح للفتاوى اليهودية، إذ نحن أمام كتاب يعد أحد روافع الهمة الإسلامية لمواجهة المزاعم الإسرائيلية المتوالية.

د. خالد سعيد

كاتب وباحث في الشؤون الصهيونية والترجمة من العبرية

مقدِّمة : لماذا هذا الكتاب؟

أولاً: لأن الديانة اليهودية والقوى الدينية لعبت وعلى امتداد الفترة الممتدة من العام ١٨٩٧ وحتى الآن دوراً بارزاً في التأسيس وقيام واستمرار الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين، وكان منطلق الولاء الأول للكيان لديهم نابع من معتقداتهم الدينية، التي تصور لهم أن هذا الكيان هو التطبيق العملي لاستمرارية الوعد الإلهي لليهود باعتبارهم شعبه المختار، وبأن أرض فلسطين هي قلب هذه الأرض، وهذا ما حاولت حكومة بنيامين نتنياهو تثبيته سنة ٢٠١٤ بعد إقرارها مشروع قرار يهودية الدولة .

وثانياً: هو ثمرة قراءة متأنية وطويلة للتوراة استمرت أشهراً طويلة في العام ٢٠٠٠ م، وجمعت ملخصاً لها آنذاك نشرته في مقالين في مجلة البلاد اللبنانية باسم «بلال أحمد»، الأول تحت عنوان: «نصوص التوراة تدحض مزاعم الصهيونية»، نُشر بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٠٠، والثاني تحت عنوان:

«الإبادة وقتل الأطفال في الفكر التوراتي» نشر بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٠، واكتشفت لاحقاً منذ سنوات قليلة قيام بعض الأشخاص بإعادة نشر المقان الثاني كاملاً أو أجزاء منه على شبكة الإنترنت بأسمائهم، وبلغت الوقاحة بهم أنهم لم يكتفوا بسرقة متن المقال، الذي قد يفسر على أنه توارد أفكار، بل سرقوا مقدمته أيضاً، ولكنهم وقعوا في شر سرقتهم، إذ كانت في المقال أخطاء طباعية طاولت أرقام الإصحاحات والآيات ،فأعادوا نشر الخطأ، ويمكن الرجوع للمقال كما نشر في مجلة البلاد بما فيه من أخطاء في الملحق (٢) في نهاية هذا الكتاب، وربما يتوجب عليّ شكر كل من سرق المقال لأنه حفزني من حيث لايدري على العمل لإخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، ولهذا سأبدأ مجدداً باستخدام الجملة الأولى من مقدمة المقال الثاني في بداية مقدمة هذا الكتاب.

لم ترتبط نظرية وفكرة العنصرية والتمييز، وكذلك الإبادة وقتل الأطفال، بأي دين أو فكر وضعي، كما ارتبطت بالفكر التوراتي، الذي بدأ أتباعه ممارسة العنصرية والتمييز وارتكاب المجازر بكل أنواعها ومسمياتها منذ أيام النبي موسى وحتى الآن، كلما سنحت لهم الفرصة، باعتبارها أمراً وحقاً إلهياً مُعطى لهم، وعبادة يتقربون بها من ربهم وأنبيائهم الذين حرضوهم على القتل والعنصرية تجاه الآخر مهما كان، وبغض النظر عن عدائه لهم أو لا، وينطلق اليهود في ممارسة دينهم كما جاء في التوراة من ثلاثة منطلقات هي:

أولاً: العنصرية: المنطلقة من العقيدة اليهودية المؤسسة على اعتبار اليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه دون سائر الشعوب والأمم، فاليهودي «ابن الله»، وكل من يتعرض له يكون عقابه الموت كما قتل موسى القبطي الذي ضرب 'لإسرائيلي،وعليه قسّم اليهود البشر إلى يهود «أبناء الله» المصطفين، وغير يهود الأغيار «غوييم» الذين

خلقهم الله على هيئة إنسان، ليكونوا خدماً لائقين لخدمة اليهود الذين خلق الله الدنيا لأجلهم، وهذا ما جاء في التوراة في سفر التثنية (١٤: ١-٢):

«أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. لاَ تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيْتٍ. لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ».

ثانياً: مقولة أرض الميعاد التي وعد الرب بها اليهود، وهي تشمل حسب التوراة الأرض الممتدة بين نهر مصر «النيل» ونهر الفرات في العراق، وأرض فلسطين في القلب منها، وعد إلهي أعطاه الرب لليهود منذ إبراهيم وكرره لكل أنبيائهم وملوكهم، كما جاء في سفر التكوين (٢٨: ١٣-١٥) حين رأى يعقوب ربّه في المنام فقال له:

«...أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ»،

وفصله في سفر يشوع (١: ٢-٤):

«مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخُمُكُمْ».

ثالثاً: الحرب والقتل والتدمير تجاه كل ما هو ليس يهودياً، وقد حفل التوراة بعدد كبير من الآيات التي تحض على ارتكاب المجازر بحق البشر والحجر والشجر، وما مجزرة أريحا ونابلس وعاي وحاصور إلا بعض الأمثلة على المجازر التي ارتكبها اليهود بحق غير اليهود، وفي سفر يشوع (١٠:٤٠-٤٢) ذكر واضح للإبادة التي قام بها يشوع:

«فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا،بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ لهُ إِسْرَائِيلَ.فَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ إِلَى غَزَّةَ وَجَمِيعَ أَرْضِ جُوشِنَ إِلَى جِبْعُونَ. وَأَخَذَ يَشُوعُ جَمِيعَ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَأَرْضِهِمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ».

وأخيراً فإن جذور العنصرية والإرهاب المستمدة من النصوص التوراتية، وجدت تطبيقاتها العملية في الحقب السابقة التي كان فيها لليهود وجود مؤثر وفاعل، وعادت للبروز مع بدايات إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين، وتستمر حتى اليوم، بأشكال متعددة وتحت ذات الذرائع والتبريرات التوراتية، التي تؤمن الغطاء لكل ذلك، وإذا كنت قد أطلت في المقدمة، إلا أنني اعتمدت في الكتاب على قاعدة قليل من الكلام، كثير من الآيات والشواهد التوراتية، بما يخدم الهدف من الكتاب وتعميماً للفائدة.

وفي الختام لا بد من الإشارة وقطعاً لأي تأويل أو تفسير لما ورد في هذا الكتاب، فقد تعاملت مع النص التوراتي المكتوب والمتداول كما هو، بعيداً عن الجدل القديم والدائم حول صحة ما فيه من عدمه، ما اقتضى التنويه.

مصلح الهباهبه

الفصل الأول

العنصرية والتمييز في النص التوراتي

العنصرية ضد غير اليهودي

لا يحتاج المرء إلى كثير عناء لاستخراج النصوص العنصرية في التوراة، فكل أسفاره وإصحاحاته تحتوي على كمّ هائل من هذه النصوص التي تمجّد اليهود وترفعهم فوق سائر البشر مراتب عدة، وهذا ما يبدو جلياً في تقسيم التوراة للبشر إلى يهود وغير يهود الأغيار «الغويم»، وهنا يكمن جذر حالة التقوقع التي عاشها ويعيشها اليهود منذ العام ١٤٠٠ قبل الميلاد وحتى الآن، وقد أخذ هذا التمييز بين اليهود وغير اليهود، والذي يحمل في طياته تمييزاً عنصرياً فجّاً وأشكالاً وتعابير عدة، منها أنهم شعب الله النقي المختار الذي اختاره دون سواه من البشر، ليكون مخلوقاً من روحه بصورة بشر، واليهودي عند الله محترم، فمن تعرّض له كأنما تعرّض لله، ومن هنا انطلق اليهود في اعتبار أن الأرض وما عليها من بشر وخيرات وجدت لخدمتهم وأن قتلهم أو تشريدهم للأغيار عمل يرضي الله.

وقد ورد تمييز اليهود في التوراة، وترسيخ العنصرية اليهودية تجاه غير اليهودي، في المواضع الآتية:

في سفر الخروج (١٥:٣٤-١٦) نجد تحريضاً مباشراً على احتقار غير اليهودي، فلا يقطع لهم عهد، ولا يؤكل من ذبائحهم، ولا يتزوج منهم ولا يُزوج لهم:

«احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، فَيَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ وَيَذْبَحُونَ لآلِهَتِهِمْ، فَتُدْعَى وَتَأْكُلُ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ، وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ، فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ، وَيَجْعَلْنَ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ».

وفي سفر التثنية(٧: ٦) يظهر اختيار الله بشكل صريح لا لَبس فيه لليهود بأنهم شعبه المقدس دون سائر الشعوب على وجه الأرض:

«لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ».

أما في سفر الملوك الثاني (٥: ١٥) فيقول التوراة إن اليهودي هو الوحيد الذي يعبد الله، وهذا سبب تمييزه له عن الآخرين:

«فَرَجَعَ إِلَى رَجُلِ اللهِ هُوَ وَكُلُّ جَيْشِهِ وَدَخَلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ وَقَالَ:هُوَذَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلهٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ إِلاَّ فِي إِسْرَائِيلَ، وَالآنَ فَخُذْ بَرَكَةً مِنْ عَبْدِكَ».

وفي سفر إشعيا(٤٩: ٢٢- ٢٣) تصل العنصرية في التوراة ذروتها، بإذلال غير اليهود، من خلال القول: إن مهمة غير اليهود هي خدمة اليهود،

والسجود لهم ولحس الغبار عن نعالهم:

«هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ، وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ. وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لاَ يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ».

وتأخذ هذه العنصرية في سفر نحميا (١٠: ٣٠) شكلاً آخر بالامتناع عن التزاوج مع غير اليهود، لمنع الاختلاط مع غير اليهود الأنجاس للحفاظ على العنصر اليهودي الطاهر والنقي:

«وَأَنْ لاَ نُعْطِيَ بَنَاتِنَا لِشُعُوبِ الأَرْضِ، وَلاَ نَأْخُذَ بَنَاتِهِمْ لِبَنِينَا».

ويمضي التوراة في التأكيد على عنصريته وتمييز اليهود، في سفر أشعيا (٦١: ٥-٦):

«وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ».

وفي سفر التثنية (١٤: ٢١) يحض التوراة على التآمر على صحة من يسميه الغريب، من خلال أمر اليهودي بإعطائه الشاة الميتة لأكلها أو بيعها لغير اليهود، وهنا يحرم التوراة على اليهود أكل اللحم المطبوخ باللبن، والمعروف في بلاد الشام، لا سيما في الأردن باسم «المنسف»:

«لاَ تَأْكُلُوا جُثَّةً مَّا. تُعْطِيهَا لِلْغَرِيبِ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ فَيَأْكُلُهَا أَوْ يَبِيعُهَا

لأَجْنَبِيٍّ، لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَطْبُخْ جَدْيًا بِلَبَنِ أُمِّهِ».

وتظهر الدعوة إلى استعباد غير اليهودي ونسله ممن يقيمون بجوار مناطق اليهود، أو يعيشون عندهم، في التوراة في سفر اللاويين (٢٥: ٤٤-٤٦):

«وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً. وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمِ الَّذِينَ عِنْدَكُمُ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ».

وفي سفر أشعيا (٤٣: ١-٥) يرسم التوراة صورة كاملة، للتفضيل الإلهي لليهود وتمييزهم عن سواهم من البشر، كما يقول الله ليعقوب: إن اليهود لن يغرقوا لو اجتازوا الماء، ولن تحرقهم النار حتى لو ساروا فيها، وإن الله سيجمع نسلهم حتى لو تشتتوا في مشرق الأرض ومغربها:

«وَالآنَ هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ، خَالِقُكَ يَا يَعْقُوبُ وَجَابِلُكَ يَا إِسْرَائِيلُ: لاَ تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ، كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ. إِذْ صِرْتَ عَزِيزًا فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّمًا، وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِي أُنَاسًا عِوَضَكَ وَشُعُوبًا عِوَضَ نَفْسِكَ. لاَ تَخَفْ فَإِنِّي مَعَكَ. مِنَ الْمَشْرِقِ آتِي بِنَسْلِكَ، وَمِنَ الْمَغْرِبِ أَجْمَعُكَ».

وفي السفر ذاته تكتمل صورة تمييز الله لليهود، من خلال تسخير الأمم

الغريبة وملوكها لهم، مهمتها تقديم الثروة لليهود، وبناء المدن لهم وخدمتهم، وإلا فإن عقوبتها الإبادة، كما يقول الله في سفر أشعيا (٦٠: ٣-٥ ومن ١٠ - ١٢):

«فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ....... وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ».

ويمضي التوراة في أسفاره وإصحاحاته في سرد كيفية استغلال اليهودي لغير اليهودي، وهذا سفر التثنية (٢٣: ٢٠) يوضح جانباً منه :

«لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِباً وَلكِنْ لأَخِيكَ لا تُقْرِضْ بِرِباً لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ التِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا».



التمييز ضد المرأة

كما حمل التوراة نصوص تمييز بين اليهودي وغيره، حفل التوراة بعدة آيات تنتقص من المرأة، وتصفها بألفاظ بالغة البذاءة، تجاوزت كل ما عرفت البشرية على امتداد تاريخها من تمييز ضد المرأة، ومن أوجه وأشكال هذا التمييز:

١- اتهامها بالنجاسة: انتقص التوراة من المرأة، واتهمها بالنجاسة،منطلقاً من مسألة الدورة الشهرية «الطمث» التي هي عملية بيولوجية طبيعية، لولاها لما تكاثر البشر وتجدد النسل، وليس للمرأة يد فيها لا من قريب أو بعيد، ووصفها التوراة بالنجسة التي يجب أن تكفّر عن نجاساتها لدى الكاهن، وقد ورد ذلك في سفر اللاويين (١٥: ٢٥-٣٠):

«وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمْثِهَا، فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامِ سَيَلاَنِ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامِ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمْثِهَا. وَكُلُّ الأَمْتِعَةِ

الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهُنَّ يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. وَإِذَا طَهُرَتْ مِنْ سَيْلِهَا تَحْسُبُ، لِنَفْسِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَطْهُرُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَأْخُذُ لِنَفْسِهَا يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، وَتَأْتِي بِهِمَا إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ: الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً. وَيُكَفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِ نَجَاسَتِهَا».

٢- التمييز ضد الأنثى منذ الولادة: ويذهب التوراة بعيداً في تعداد مواضع نجاسة المرأة حتى في الولادة، فيختلف الأمر إذا كان المولود ذكراً أو أنثى،فنجاسة من تلد ذكراً سبعة أيام، أما لمن تلد أنثى فهي أسبوعان،وفي الحالين يجب أن تتطهر لدى الكاهن، وهذا ما جاء في سفر اللاويين (١٢: ١-٨):

«وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ.ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لاَ تَمَسَّ، وَإِلَى الْمَقْدِسِ لاَ تَجِيء حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا.وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا،وَمَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا لأَجْلِ ابْنٍ أَوِ ابْنَةٍ، تَأْتِي بِخَرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُحْرَقَةً، وَفَرْخِ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، إِلَى الْكَاهِنِ،فَيُقَدِّمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكَفِّرُ عَنْهَا، فَتَطْهُرُ مِنْ يَنْبُوعِ دَمِهَا. هذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. وَإِنْ لَمْ تَنَلْ يَدُهَا كِفَايَةً لِشَاةٍ تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُحْرَقَةً، وَالآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، فَيُكَفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَطْهُرُ».

٣ - إجبارها بالزواج من شقيق زوجها الميت: فإذا كان شقيق زوجها يسكن معهم في البيت ذاته، وتوفي زوجها، يجب عليها الزواج من شقيق زوجها، وعليها أيضاً تسمية ابنها الأول منه باسم أخيه المتوفى، وهذا ما تحدّث عنه التوراة في سفر التثنية (٢٥: ٥-٦):

«إِذَا سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، فَلاَ تَصِرِ امْرَأَةُ الْمَيْتِ إِلَى خَارِجٍ لِرَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ. أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، وَيَقُومُ لَهَا بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. وَالْبِكْرُ الَّذِي تَلِدُهُ يَقُومُ بِاسْمِ أَخِيهِ الْمَيْتِ، لِئَلاَّ يُمْحَى اسْمُهُ مِنْ إِسْرَائِيلَ».

٤ - تقييد حرية المرأة بتحريم عودتها إلى زوجها الأول بعد انفصالها عن زوجها الثاني، حسب ما جاء في سفر التثنية (٢٤: ١-٤):

«إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ، وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلاَقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ، فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الأَخِيرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلاَقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الأَخِيرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً. لاَ يَقْدِرُ زَوْجُهَا الأَوَّلُ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ؛ لأَنَّ ذلِكَ رِجْسٌ لَدَى الرَّبِّ. فَلاَ تَجْلِبْ خَطِيَّةً عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا».

٥ - التمييز ضد الأرامل والمطلقات: عبر الدعوة لعدم الزواج بالأرامل والمطلقات، واستثناء أرامل الكهنة من هذه الدعوة، إذ يقول الله في سفر حزقيال (٤٤: ٢٢-٢٣):

«وَلاَ يَأْخُذُونَ أَرْمَلَةً وَلاَ مُطَلَّقَةً زَوْجَةً، بَلْ يَتَّخِذُونَ عَذَارَى مِنْ نَسْلِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، أَوْ أَرْمَلَةً الَّتِي كَانَتْ أَرْمَلَةَ كَاهِنٍ.وَيُرُونَ شَعْبِي التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ، وَيُعَلِّمُونَهُمُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ».

٦- الاحتقار والتشكيك بالمرأة بشكل عام: فلا وجود لمرأة صالحة ولو بنسبة واحد في الألف، كما جاء في سفر الجامعة (٧: ٢٥ – ٢٨):

«دُرْتُ أَنَا وَقَلْبِي لأَعْلَمَ وَلأَبْحَثَ وَلأَطْلُبَ حِكْمَةً وَعَقْلاً، وَلأَعْرِفَ الشَّرَّ أَنَّهُ جَهَالَةٌ، وَالْحَمَاقَةَ أَنَّهَا جُنُونٌ.فَوَجَدْتُ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ: الْمَرْأَةَ الَّتِي هِيَ شِبَاكٌ، وَقَلْبُهَا أَشْرَاكٌ، وَيَدَاهَا قُيُودٌ. الصَّالِحُ قُدَّامَ اللهِ يَنْجُو مِنْهَا. أَمَّا الْخَاطِئُ فَيُؤْخَذُ بِهَا.اُنْظُرْ. هذَا وَجَدْتُهُ، قَالَ الْجَامِعَةُ: وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً لأَجِدَ النَّتِيجَةَ. الَّتِي لَمْ تَزَلْ نَفْسِي تَطْلُبُهَا فَلَمْ أَجِدْهَا. رَجُلاً وَاحِدًا بَيْنَ أَلْفٍ وَجَدْتُ، أَمَّا امْرَأَةً فَبَيْنَ كُلِّ أُولئِكَ لَمْ أَجِدْ!».



الفصل الثاني

الوعد الإلهي وأرض الميعاد

الوعد الإلهي وأرض الميعاد

تمثل ثنائية شعب الله المختار وأرض الميعاد المنطلق الثاني عند اليهود في ديانتهم التي ينص عليها التوراة، والذي بنوا عليه تاريخهم ماضياً وحاضراً، حيث يبرر اليهود احتلالهم لأرض فلسطين وتشريد شعبها بمقولة «الوعد الإلهي» الذي قطعه الله لهم، ويتخذون من هذا «الوعد» حجة وذريعة لارتكاب المجازر والإرهاب، وبقراءة متأنية للنص التوراتي نجد هذا الوعد موجوداً، ولكننا نجد أيضاً أنه لم يكن مطلقاً، بل كان مشروطاً، ولم يلتزم اليهود به، وهذا ما استدعى غضب الله عليهم،وكل ذلك موجود في النصوص التوراتية.

الوعد الإلهي لليهود وشروطه:

فقد جاء هذا «الوعد» في سفر الخروج(١٩ : ٥-٨) حيث يقول الله:

«فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي

خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ.وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً .هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ الشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا الرَّبُّ.فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ». فَرَدَّ مُوسَى كَلاَمَ الشَّعْبِ إِلَى الرَّبّ».

وقد وافق اليهود على هذا العهد الذي اقترن بشروط هي ما جاء في سفر الخروج (٢٠: ١-٧) حيث نجد:

«ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيع هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً:أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ،وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً».

وبعد ذلك، أضاف الله حسب التوراة شروطه لإنفاذ الوعد، وحدد هذه الشروط الإضافية، في سفر الخروج (٢٣: ١-٩) بالقول:

«لاَ تَقْبَلْ خَبَرًا كَاذِبًا، وَلاَ تَضَعْ يَدَكَ مَعَ الْمُنَافِقِ لِتَكُونَ شَاهِدَ ظُلْم. لاَ تَتْبَعِ الْكَثِيرِينَ إِلَى فِعْلِ الشَّرِّ، وَلاَ تُجِبْ فِي دَعْوَى مَائِلاً وَرَاءَ الْكَثِيرِينَ لِلتَّحْرِيفِ. وَلاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ.إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا، تَرُدُّهُ إِلَيْهِ.إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعًا تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ، فَلاَ بُدَّ

أَنْ تَحُلَّ مَعَهُ. لاَ تُحَرِّفْ حَقَّ فَقِيرِكَ فِي دَعْوَاهُ. اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ، وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ. وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ.وَلاَ تُضَايِقِ الْغَرِيبَ فَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ نَفْسَ الْغَرِيبِ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ».

وعاد الله ليكرر الشروط في سفر التثنية (١:٨) مخاطباً اليهود:

«جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ».

ولأنه يعرف طبعهم حذرهم من نقض العهد في ذات السفر (١٤:٨) قائلا:

«اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَنْسَى الرَّبَّ إِلهَكَ وَلاَ تَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَفَرَائِضَهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ.لِئَلاَّ إِذَا أَكَلْتَ وَشَبِعْتَ وَبَنَيْتَ بُيُوتًا جَيِّدَةً وَسَكَنْتَ،وَكَثُرَتْ بَقَرُكَ وَغَنَمُكَ، وَكَثُرَتْ لَكَ الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ، وَكَثُرَ كُلُّ مَا لَكَ. يَرْتَفِعُ قَلْبُكَ وَتَنْسَى الرَّبَّ إِلهَكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ».

ثم عاد وكرر التحذير في سفر التثنية (٨: ١٩ -٢٠) قائلاً:

«وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلهَكَ، وَذَهَبْتَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا وَسَجَدْتَ لَهَا، أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ لاَ مَحَالَةَ.كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذلِكَ تَبِيدُونَ، لأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ».

وبعد النبي موسى ومجيء داوُد أعاد الله شروطه على اليهود لعلهم يلتزمون بشروط العهد والوعد فقد خاطب النبي داوُد في المزمور

(١٣٢: ١١-١٢) قائلاً:

«أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ».

ولم تقف فرص بني إسرائيل عند هذا الحد، بل أعاد الله طرح شروطه على النبي سليمان في سفر الملوك الأول (٩: ٤-٥) قائلاً:

«وَأَنْتَ إِنْ سَلَكْتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبٍ وَاسْتِقَامَةٍ، وَعَمِلْتَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَيْتُكَ وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي. فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ كَمَا كَلَّمْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلاً: لاَ يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ».

وكان لأبرام من قبلهم الوعد حيث جاء في سفر التكوين (١٣: ١٤ – ١٧):

«وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا. لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ. وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ. قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا، لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا».

وتكرر الوعد مع اسحاق في سفر التكوين (٢٦:١-٥): حيث جاء فيه:

«وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي

جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي».

وكان ليعقوب أيضاً وعد في سفر التكوين (٢٨: ١٣-١٥) حين رأى يعقوب ربّه في المنام فقال له:

«... أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ».

وتجدد الوعد ليعقوب في سفر التكوين (٣٥: ٩-١٢):

«وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانِ أَرَامَ وَبَارَكَهُ. وَقَالَ لَهُ اللهُ: «اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ». فَدَعَا اسْمَهُ «إِسْرَائِيلَ». وَقَالَ لَهُ اللهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ».

وحدد الله لبني إسرائيل حسب التوراة الأرض التي أعطاها لهم في سفر التثنية (٣٢: ٤٩):

«اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا».

وفصلها في سفر يشوع (١: ٢-٤):

«مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ. وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ».

ولكن هذا الوعد اقترن هذه المرة بتحذير شديد، فقد جاء في سفر الملوك الأول (٩: ٦-٩):

«إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلاَ تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا. فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ. وَهذَا الْبَيْتُ يَكُونُ عِبْرَةً. كُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَتَعَجَّبُ وَيَصْفُرُ، وَيَقُولُونَ: لِمَاذَا عَمِلَ الرَّبُّ هكَذَا لِهذِهِ الأَرْضِ وَلِهذَا الْبَيْتِ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَهُمُ الَّذِي أَخْرَجَ آبَاءَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَتَمَسَّكُوا بِآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا وَعَبَدُوهَا. لِذلِكَ جَلَبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ هذَا الشَّرِّ».

مخالفة اليهود لشروط الوعد

ولكن هل التزم اليهود وبعد كل هذا وتكرار الله لوعده المقرون بشروط بسيطة؟ يقول التوراة: إنهم لم يلتزموا بهذا الوعد وخالفوا شروطه منذ اليوم الأول لخروجهم من مصر مع النبي موسى، فنجدهم في سفر الخروج (١٤ :١١-١٢):

«لم يحمدوا الله ويشكروه على إنقاذهم من بطش الفرعون،وَقَالُوا لِمُوسَى: هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ أَلَيْسَ هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ».

وحسب التوراة ورغم نجاتهم من بطش فرعون وجيشه بعد أن اجتاز بهم موسى البحر وغرق أتباع فرعون الذين تبعوهم، إلا أنهم واصلوا تذمرهم وشكواهم، ففي سفر الخروج (١٦، ٢: ٣) جاء:

«فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ».

ولم يكتفوا بالتذمر بل استغلوا صعود النبي موسى إلى الجبل لمخالفة وصايا الله، وساعدهم في ذلك هارون الذي صنع لهم عجلاً من الذهب ليعبدوه، وهذا ما جاء في سفر الخروج (٣٢ :١-٦):

«وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ».

ولم يقتصر نكث بني إسرائيل للعهد الذي قطعوه مقابل الوعد أمام موسى، بل كرروه أيام يوشع، وجاء في سفر قضاة (٢: ١٠ – ١٨):

«وَكُلُّ ذلِكَ الْجِيلِ أَيْضًا انْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ، وَقَامَ بَعْدَهُمْ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ، وَلاَ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ لإِسْرَائِيلَ. وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ

الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ.وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ.فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ.حَيْثُمَا خَرَجُوا كَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ لِلشَّرِّ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ وَكَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ. فَضَاقَ بِهِمُ الأَمْرُ جِدًّا. وَأَقَامَ الرَّبُّ قُضَاةً فَخَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ نَاهِبِيهِمْ.وَلِقُضَاتِهِمْ أَيْضًا لَمْ يَسْمَعُوا، بَلْ زَنَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا. حَادُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَارَ بِهَا آبَاؤُهُمْ لِسَمْعِ وَصَايَا الرَّبِّ، لَمْ يَفْعَلُوا هكَذَا. وَحِينَمَا أَقَامَ الرَّبُّ لَهُمْ قُضَاةً، كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ بِسَبَبِ مُضَايِقِيهِمْ وَزَاحِمِيهِمْ».

الغضب الإلهي على اليهود

ويمضي التوراة في تناقض غريب عجيب، بالانتقال من الوعد الإلهي إلى عدم الالتزام اليهود بالعهد المقابل الذي قطعوه على أنفسهم، للحديث عن الغضب الإلهي عليهم.

وإزاء إصرار اليهود على نقض العهد وعدم الالتزام بشروط الوعد الذي قطعوه على أنفسهم أمام ربهم وأنبيائهم وملوكهم، حذرهم الرب من الاستمرار في ذلك، لكنهم صمّوا آذانهم، ومضوا فيما هم فاعلون، وصوَّر واقعهم ومعصيتهم سفر الملوك الثاني (١٧: ١٣- ٢٠):

«وَأَشْهَدَ الرَّبُّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَعَلَى يَهُوذَا عَنْ يَدِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَكُلِّ رَاءٍ قَائِلاً: ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ وَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، فَرَائِضِي، حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُ بِهَا آبَاءَكُمْ، وَالَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَيْكُمْ عَنْ يَدِ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ. فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ صَلَّبُوا أَقْفِيَتَهُمْ كَأَقْفِيَةِ آبَائِهِمِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ. وَرَفَضُوا فَرَائِضَهُ وَعَهْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ آبَائِهِمْ

وَشَهَادَاتِهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ، وَصَارُوا بَاطِلاً وَرَاءَ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّبُّ أَنْ لاَ يَعْمَلُوا مِثْلَهُمْ.وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَعَمِلُوا لأَنْفُسِهِمْ مَسْبُوكَاتٍ عِجْلَيْنِ، وَعَمِلُوا سَوَارِيَ، وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ، وَعَبَدُوا الْبَعْلَ.وَعَبَّرُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ فِي النَّارِ، وَعَرَفُوا عِرَافَةً وَتَفَاءَلُوا، وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ لإِغَاظَتِهِ.فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ.وَيَهُوذَا أَيْضًا لَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ، بَلْ سَلَكُوا فِي فَرَائِضِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي عَمِلُوهَا.فَرَذَلَ الرَّبُّ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ، وَأَذَلَّهُمْ وَدَفَعَهُمْ لِيَدِ نَاهِبِينَ حَتَّى طَرَحَهُمْ مِنْ أَمَامِهِ».

ويبلغ غضب الله أشده على بني إسرائيل في سفر أرميا (٢: ٢٦- ٣٠) بالقول:

«كَخِزْيِ السَّارِقِ إِذَا وُجِدَ هكَذَا خِزْيُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، هُمْ وَمُلُوكُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَكَهَنَتُهُمْ وَأَنْبِيَاؤُهُمْ. قَائِلِينَ لِلْعُودِ: أَنْتَ أَبِي، وَلِلْحَجَرِ: أَنْتَ وَلَدْتَنِي.لأَنَّهُمْ حَوَّلُوا نَحْوِي الْقَفَا لاَ الْوَجْهَ، وَفِي وَقْتِ بَلِيَّتِهِمْ يَقُولُونَ: قُمْ وَخَلِّصْنَا.فَأَيْنَ آلِهَتُكَ الَّتِي صَنَعْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَلْيَقُومُوا إِنْ كَانُوا يُخَلِّصُونَكَ فِي وَقْتِ بَلِيَّتِكَ. لأَنَّهُ عَلَى عَدَدِ مُدُنِكَ صَارَتْ آلِهَتُكَ يَا يَهُوذَا.لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ كُلُّكُمْ عَصَيْتُمُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ.لِبَاطِلٍ ضَرَبْتُ بَنِيكُمْ. لَمْ يَقْبَلُوا تَأْدِيبًا. أَكَلَ سَيْفُكُمْ أَنْبِيَاءَكُمْ كَأَسَدٍ مُهْلِكٍ».

الكفر بالله لم يقتصر على طائفة من بني إسرائيل، بل كان شاملاً لكل الطوائف، فالله في سفر إرميا (٥: ١) يقول:

«طُوفُوا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا، وَاعْرِفُوا وَفَتِّشُوا فِي سَاحَاتِهَا، هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَانًا أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ، فَأَصْفَحَ عَنْهَا؟».

وجزاء هذا الكفر والجحود، يتوعد الله بني إسرائيل بعقاب شديد، حيث يقول في سفر إرميا (٥: ٢١ - ٢٢):

«اِسْمَعْ هذَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَدِيمُ الْفَهْمِ، الَّذِينَ لَهُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ يُبْصِرُونَ. لَهُمْ آذَانٌ وَلاَ يَسْمَعُونَ. أَإِيَّايَ لاَ تَخْشَوْنَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَوَلاَ تَرْتَعِدُونَ مِنْ وَجْهِي؟ أَنَا الَّذِي وَضَعْتُ الرَّمْلَ تُخُومًا لِلْبَحْرِ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لاَ يَتَعَدَّاهَا، فَتَتَلاَطَمُ وَلاَ تَسْتَطِيعُ، وَتَعِجُّ أَمْوَاجُهُ وَلاَ تَتَجَاوَزُهَا».



عقاب الله لليهود

يصف الله عقابه لليهود لمخالفتهم شروط الوعد والعهد، استمرارهم في فعل النقيض بالقول في سفر إرميا (٨ : ٩-١٠):

«خَزِيَ الْحُكَمَاءُ. ارْتَاعُوا وَأُخِذُوا. هَا قَدْ رَفَضُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ، فَأَيَّةُ حِكْمَةٍ لَهُمْ؟. لِذلِكَ أُعْطِي نِسَاءَهُمْ لآخَرِينَ، وَحُقُولَهُمْ لِمَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، كُلُّ وَاحِدٍ مُولَعٌ بِالرِّبْحِ. مِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ».

ويمضي الله في كلامه لبني إسرائيل في سفر إرميا (١١ : ١ -١٢) بالقول:

«اَلْكَلاَمُ الَّذِي صَارَ إِلَى إِرْمِيَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ قَائِلاً: اسْمَعُوا كَلاَمَ هذَا الْعَهْدِ، وَكَلِّمُوا رِجَالَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ. فَتَقُولُ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: مَلْعُونٌ الإِنْسَانُ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ كَلاَمَ هذَا الْعَهْدِ. الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ آبَاءَكُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ

مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ كُورِ الْحَدِيدِ قَائِلاً: اسْمَعُوا صَوْتِي وَاعْمَلُوا بِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ، فَتَكُونُوا لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. لأُقِيمَ الْحَلْفَ الَّذِي حَلَفْتُ لآبَائِكُمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً كَهذَا الْيَوْمِ. فَأَجَبْتُ وَقُلْتُ: آمِينَ يَا رَبُّ. فَقَالَ الرَّبُّ لِي: نَادِ بِكُلِّ هذَا الْكَلاَمِ فِي مُدُنِ يَهُوذَا، وَفِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ قَائِلاً: اسْمَعُوا كَلاَمَ هذَا الْعَهْدِ وَاعْمَلُوا بِهِ. لأَنِّي أَشْهَدْتُ عَلَى آبَائِكُمْ إِشْهَادًا يَوْمَ أَصْعَدْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، مُبْكِرًا وَمُشْهِدًا قَائِلاً: اسْمَعُوا صَوْتِي. فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذْنَهُمْ، بَلْ سَلَكُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ. فَجَلَبْتُ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَلاَمِ هذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَصْنَعُوهُ وَلَمْ يَصْنَعُوهُ. وَقَالَ الرَّبُّ لِي: تُوجَدُ فِتْنَةٌ بَيْنَ رِجَالِ يَهُوذَا وَسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ. قَدْ رَجَعُوا إِلَى آثَامِ آبَائِهِمِ الأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَسْمَعُوا كَلاَمِي، وَقَدْ ذَهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا. قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُوذَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا جَالِبٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، وَيَصْرُخُونَ إِلَيَّ فَلاَ أَسْمَعُ لَهُمْ. فَيَنْطَلِقُ مُدُنُ يَهُوذَا وَسُكَّانُ أُورُشَلِيمَ وَيَصْرُخُونَ إِلَى الآلِهَةِ الَّتِي يُبَخِّرُونَ لَهَا، فَلَنْ تُخَلِّصَهُمْ فِي وَقْتِ بَلِيَّتِهِمْ».

ولم يكتف اليهود بذلك بل ادّعى بعضهم النبوة وكذب على لسان الرب وتبعته البقية، فقال الله: في سفر إرميا (١٤ : ١٤ – ١٦) حول ذلك:

«فَقَالَ الرَّبُّ لِي: «بِالْكَذِبِ يَتَنَبَّأُ الأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي. لَمْ أُرْسِلْهُمْ، وَلاَ أَمَرْتُهُمْ، وَلاَ كَلَّمْتُهُمْ. بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِلٍ وَمَكْرِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَنِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ بِاسْمِي وَأَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لاَ يَكُونُ سَيْفٌ وَلاَ جُوعٌ فِي هذِهِ الأَرْضِ: بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ يَفْنَى

أُولئِكَ الأَنْبِيَاءُ. وَالشَّعْبُ الَّذِي يَتَنَبَّأُونَ لَهُ يَكُونُ مَطْرُوحًا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ مِنْ جَرَى الْجُوعِ وَالسَّيْفِ، وَلَيْسَ مَنْ يَدْفِنُهُمْ هُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَبَنُوهِمْ وَبَنَاتُهُمْ، وَأَسْكُبُ عَلَيْهِمْ شَرَّهُمْ».

وفي الخلاصة، وحسب ما ورد في نص التوراة، فإن اليهود الذين دللهم الله وأعطاهم أكثر من فرصة للتوبة، وأرسل لهم أكثر من نبي، لم يرتدعوا، فاستحقوا غضب الله وعقابه الذي جاء في سفر إرميا (١٥ : ١ – ٩):

«ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِي: وَإِنْ وَقَفَ مُوسَى وَصَمُوئِيلُ أَمَامِي لاَ تَكُونُ نَفْسِي نَحْوَ هذَا الشَّعْبِ. اِطْرَحْهُمْ مِنْ أَمَامِي فَيَخْرُجُوا. وَيَكُونُ إِذَا قَالُوا لَكَ: إِلَى أَيْنَ نَخْرُجُ؟ أَنَّكَ تَقُولُ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: الَّذِينَ لِلْمَوْتِ فَإِلَى الْمَوْتِ، وَالَّذِينَ لِلسَّيْفِ فَإِلَى السَّيْفِ، وَالَّذِينَ لِلْجُوعِ فَإِلَى الْجُوعِ، وَالَّذِينَ لِلسَّبْيِ فَإِلَى السَّبْيِ. وَأُوَكِّلُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ، يَقُولُ الرَّبُّ: السَّيْفَ لِلْقَتْلِ، وَالْكِلاَبَ لِلسَّحْبِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرْضِ لِلأَكْلِ وَالإِهْلاَكِ. وَأَدْفَعُهُمْ لِلْقَلَقِ فِي كُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ مَنَسَّى بْنِ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ فِي أُورُشَلِيمَ. فَمَنْ يَشْفُقُ عَلَيْكِ يَا أُورُشَلِيمُ، وَمَنْ يُعَزِّيكِ، وَمَنْ يَمِيلُ لِيَسْأَلَ عَنْ سَلاَمَتِكِ؟ أَنْتِ تَرَكْتِنِي، يَقُولُ الرَّبُّ. إِلَى الْوَرَاءِ سِرْتِ. فَأَمُدُّ يَدِي عَلَيْكِ وَأُهْلِكُكِ. مَلِلْتُ مِنَ النَّدَامَةِ. وَأُذْرِيهِمْ بِمِذْرَاةٍ فِي أَبْوَابِ الأَرْضِ. أُثْكِلُ وَأُبِيدُ شَعْبِي. لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ طُرُقِهِمْ. كَثُرَتْ لِي أَرَامِلُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ رَمْلِ الْبِحَارِ. جَلَبْتُ عَلَيْهِمْ، عَلَى أُمِّ الشُّبَّانِ، نَاهِبًا فِي الظَّهِيرَةِ. أَوْقَعْتُ عَلَيْهَا بَغْتَةً رَعْدَةً وَرُعُبَاتٍ. ذَبُلَتْ وَالِدَةُ السَّبْعَةِ. أَسْلَمَتْ نَفْسَهَا. غَرَبَتْ شَمْسُهَا إِذْ بَعْدُ نَهَارٌ. خَزِيَتْ وَخَجِلَتْ. أَمَّا بَقِيَّتُهُمْ فَلِلسَّيْفِ أَدْفَعُهَا أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ».

واستكمل الرب وصف شكل وألوان العقاب والعذاب الذي سيذيقه لليهود في سفر إرميا (٢١: ٥ – ٧):

«وَأَنَا أُحَارِبُكُمْ بِيَدٍ مَمْدُودَةٍ وَبِذِرَاعٍ شَدِيدَةٍ، وَبِغَضَبٍ وَحُمُوٍّ وَغَيْظٍ عَظِيمٍ.وَأَضْرِبُ سُكَّانَ هذِهِ الْمَدِينَةِ، النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ مَعًا. بوباء عَظِيمٍ يَمُوتُونَ. ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ الرَّبُّ: أَدْفَعُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا وَعَبِيدَهُ وَالشَّعْبَ وَالْبَاقِينَ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْوَبَإِ وَالسَّيْفِ وَالْجُوعِ لِيَدِ نَبُوخَذْرَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ وَلِيَدِ أَعْدَائِهِمْ وَلِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ، فَيَضْرِبُهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. لاَ يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ يَشْفُقُ وَلاَ يَرْحَمُ».

ويضيف الرب في ذات السفر (٩-١٤):

«الَّذِي يُقِيمُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ يَمُوتُ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَإِ. وَالَّذِي يَخْرُجُ وَيَسْقُطُ إِلَى الْكَلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَكُمْ يَحْيَا وَتَصِيرُ نَفْسُهُ لَهُ غَنِيمَةً. لأَنِّي قَدْ جَعَلْتُ وَجْهِي عَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ لِلشَّرِّ لاَ لِلْخَيْرِ، يَقُولُ الرَّبُّ. لِيَدِ مَلِكِ بَابِلَ تُدْفَعُ فَيُحْرِقُهَا بِالنَّارِ.وَلِبَيْتِ مَلِكِ يَهُوذَا تَقُولُ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ. يَا بَيْتَ دَاوُدَ، هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْضُوا فِي الصَّبَاحِ عَدْلاً، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٍ غَضَبِي فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ. هأَنَذَا ضِدُّكِ يَا سَاكِنَةَ الْعُمْقِ، صَخْرَةَ السَّهْلِ، يَقُولُ الرَّبُّ. الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْنَا وَمَنْ يَدْخُلُ إِلَى مَنَازِلِنَا؟. وَلكِنَّنِي أُعَاقِبُكُمْ حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُشْعِلُ نَارًا فِي وَعْرِهِ فَتَأْكُلُ مَا حَوَالَيْهَا».

الفصل الثالث

المجازر والإبادة في التوراة

المجازر والإبادة في التوراة

المنطلق الثالث في اليهودية هو الحرب والقتل والتدمير تجاه كل ما هو ليس يهودياً، وهنا ترتقي فكرة التدمير والإبادة وقتل الرجال والأطفال وسبي من يتبقى من النساء بعد قتلهن، إلى مرتبة المكون الثاني في عبادة اليهود، ولذلك نجد في التوراة أجزاءً كبيرة من الأسفار، ويكاد يكون سفر يوشع سفر القتل والإبادة بامتياز.

حدد التوراة كيفية تعامل اليهود مع غيرهم بلغة الحرب، فقد جاء في سفر العدد (٣١:٩-١١) حرفياً:

«وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ».

وانطلاقاً من هذا التحديد، يمكن رصد فكرة الإبادة من خلال تقسيم مدن الأغيار إلى نوعين:

- **الأولى المدن البعيدة:** ويتم التعامل معها بقتل المحاربين الأعداء في فور الانتصار عليهم، وسبي النساء والأطفال واعتبارهم عبيداً يتم استغلالهم في العمل أو بيعهم، وينهب كل ما في هذه المدن من أموال وبهائم، وفي حال عدم الحاجة للإقامة فيها بشكل دائم تحرق، وهذا ما فصّله سفر التثنية (٢٠:١٠-١٥):

«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ. فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا».

- والنوع الثاني من المدن، فهي الواقعة في فلسطين أو القريبة منها: والتي يعتبرها التوراة الجزء الأقرب من الأرض الموعودة، فيتم التعامل معها حسب سفر التثنية (٢٠:١٦-١٨):

«وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا. بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُم».

وفي سفر التثنية (١٣:١٣-١٨) أيضاً نجد فكرة الإبادة مكرّسة من خلال

القول:

«قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لَئِيم مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ، قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي وَسَطِكَ. فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاُ إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ. وَلاَ يَلْتَصِقْ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمُحَرَّمِ، لِكَيْ يَرْجعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً. يَرْحَمُكَ وَيُكَثِّرُكَ كَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ،إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، لِتَعْمَلَ الْحَقَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ».

وفي سفر يشوع (١٠:٤٠-٤٢) ذِكر واضح للإبادة التي قام بها يشوع:

«فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ.فَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ إِلَى غَزَّةَ وَجَمِيعَ أَرْضِ جُوشِنَ إِلَى جِبْعُونَ. وَأَخَذَ يَشُوعُ جَمِيعَ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَأَرْضِهِمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ».

المجازر الواردة في التوراة

وهذه عينة من المجازر التـي ورد ذكرهـا في التـوراة، وتـم الحديث عنها باعتبارها أمراً إلهياً وقرباً لله، وقد جاء ذكرها في أسفار «التكـوين» و«العـدد»، وتنـاول في سـفر يشـوع العـدد الأكبر من المجازر:

- **مجزرة نابلس «شكيم»**

والسبب المعلـن لهـا حسـب مـا جـاء في سـفر التكـوين، اغتصاب شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ من أهل نابلس دِينَةُ ابْنَـةُ يعقـوب، ورغم ذهاب والده إلى يعقوب معتذراً وطالباً يد البنت لابنـه، وأبدى استعداده لكل الشروط وأن يفتح بلاده لبنـي إسـرائيل يساكنوهم ويتـاجروا معهـم ويتصـاهرون.. فتظـاهر يعقـوب وابناه بالموافقة واشترطوا أن يختتن أهل نابلس حتى يتم هذا الـزواج، فقبلـوا وفعلـوا، إلا أن أهـل القريـة تفـاجؤوا بـابنّي يعقوب وهميُعملان فيها السيف ويقـتلان كـل ذكـر فيهـا، ثـم رجعوا ونهبوا القرية بالكامل وسبوا كل النساء والأطفال.

وقد جاءت تفاصيل المجزرة في سفر التكوين (٣٤ :١ -٢٩) على النحو التالي:

«وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ. فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا. وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلاَطَفَ الْفَتَاةَ. فَكَلَّمَ شَكِيمُ حَمُورَ أَبَاهُ قَائِلاً: خُذْ لِي هذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً. وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ. وَأَمَّا بَنُوهُ فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الْحَقْلِ، فَسَكَتَ يَعْقُوبُ حَتَّى جَاءُوا. فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَكِيمَ إِلَى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ. وَأَتَى بَنُو يَعْقُوبَ مِنَ الْحَقْلِ حِينَ سَمِعُوا. وَغَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَهكَذَا لاَ يُصْنَعُ. وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمْ قَائِلاً: «شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً. وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا. وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمْ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا. ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: «دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي. كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً .فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ. فَقَالُوا لَهُمَا: لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُلٍ أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. غَيْرَ أَنَّنَا بِهذَا نُواتِيكُمْ: إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا، أَنْ تَخْتَتِنُوا، نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي .فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ. وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْغُلاَمُ أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ، لأَنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِابْنَةِ يَعْقُوبَ. وَكَانَ

أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ. فَأَتَى حَمُورُ وَشَكِيمُ ابْنُهُ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمَا، وَكَلَّمَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمَا قَائِلِينَ: هؤُلاَءِ الْقَوْمُ مُسَالِمُونَ لَنَا. فَلْيَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَذَا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ أَمَامَهُمْ. نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. غَيْرَ أَنَّهُ بِهذَا فَقَطْ يُوَاتِينَا الْقَوْمُ عَلَى السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ شَعْبًا وَاحِدًا: بِخَتْنِنَا كُلَّ ذَكَرٍ كَمَا هُمْ مَخْتُونُونَ. أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا؟ نُوَاتِيهِمْ فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا. فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ. كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ. فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ».

- مجزرة مدين:

بدأت هذه المجزرة حسب التوراة بعد مطالبة الله للنبي موسى بالانتقام لبني إسرائيل من أهل مدين، فجمع موسى جيشاً عدده اثنا عشر ألف مقاتل، وهاجم بها مدين، وقتل ملوكها الخمسة وكل الذكور فيها، وسبوا نساءهم وأطفالهم، ونهبوا بهائمهم ومواشيهم، وأحرقوا المدينة بعد ذلك.

وبعد انتهاء المعركة، سألهم النبي موسى إن كانوا أبقوا كل أنثى حية؟

ولما أجابوا بـ«نعم»،أمرهم بقتل كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة، والإبقاء على جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن بمضاجعة ذكر.

وها هوسفر العدد (٣١: ١-١٨) يتحدث عن هذه المجزرة بالتفصيل:

«وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: اِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تُضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ. فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلاً: جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالاً لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ .أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْب . فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ.فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ، هُمْ وَفِينْحَاسَ بْنَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ إِلَى الْحَرْبِ، وَأَمْتِعَةُ الْقُدْسِ وَأَبْوَاقُ الْهُتَافِ فِي يَدِهِ.فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ.وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ: أَوِيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ. خَمْسَةَ مُلُوكِ مِدْيَانَ. وَبَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ.وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ.وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ.وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوآبَ الَّتِي عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا.فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ.فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ.وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى:

هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ».

وكان حصيلة ما نهبه الجيش من مدين بعد المجزرة حسب السفر ذاته (٣٢: ٤١):

«وَكَانَ النَّهْبُ فَضْلَةُ الْغَنِيمَةِ الَّتِي اغْتَنَمَهَا رِجَالُ الْجُنْدِ: مِنَ الْغَنَمِ سِتَّ مِئَةٍ وَخَمْسَةً وَسَبْعِينَ أَلْفًا، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفًا، وَمِنَ الْحَمِيرِ وَاحِدًا وَسِتِّينَ أَلْفًا، وَمِنْ نُفُوسِ النَّاسِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ، جَمِيعِ النُّفُوسِ اثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ أَلْفًا. وَكَانَ النِّصْفُ نَصِيبُ الْخَارِجِينَ إِلَى الْحَرْبِ: عَدَدُ الْغَنَمِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَسَبْعَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ. وَكَانَتِ الزَّكَاةُ لِلرَّبِّ مِنَ الْغَنَمِ سِتَّ مِئَةٍ وَخَمْسَةً وَسَبْعِينَ، وَالْبَقَرُ سِتَّةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا، وَزَكَاتُهَا لِلرَّبِّ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَالْحَمِيرُ ثَلاَثِينَ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَزَكَاتُهَا لِلرَّبِّ وَاحِدًا وَسِتِّينَ، وَنُفُوسُ النَّاسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَزَكَاتُهَا لِلرَّبِّ اثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ نَفْسًا. فَأَعْطَى مُوسَى الزَّكَاةَ رَفِيعَةَ الرَّبِّ لأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى».

- **مجزرة أريحا:**

وقعت أحداث هذه المجزرة كما جاء في التوراة، بعد عبور يوشع بن نون لنهر الأردن، حاصر مدينة أريحا، وبعد أن سيطر عليها دمّر المدينة بشكل كامل، وقتل كل من كان فيها من الرجال والنساء والأطفال، باستثناء راحاب وأهلها، لأنها أخفت الجاسوسين الذين أرسلهما يوشع، وبعد ذلك أحرق

يوشع المدينة ولعن أي رجل يحاول إعادة بناء المدينة بلعنة وفاة ابنه الأول، وجاء تفصيل هذه المجزرة في سفر يشوع (٦: ٢٠-٢٦):

«فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالأَبْوَاقِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. حَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى. الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ.وَقَالَ يَشُوعُ لِلرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَجَسَّسَا الأَرْضَ» :ادْخُلاَ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ وَأَخْرِجَا مِنْ هُنَاكَ الْمَرْأَةَ وَكُلَّ مَا لَهَا كَمَا حَلَفْتُمَا لَهَا .فَدَخَلَ الْغُلاَمَانِ الْجَاسُوسَانِ وَأَخْرَجَا رَاحَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا وَإِخْوَتَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَأَخْرَجَا كُلَّ عَشَائِرِهَا وَتَرَكَاهُمْ خَارِجَ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ.وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ.وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَاحَابَ الزَّانِيَةَ وَبَيْتَ أَبِيهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَسَكَنَتْ فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهَا خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلَهُمَا يَشُوعُ لِكَيْ يَتَجَسَّسَا أَرِيحَا.وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا».

- **مجزرة عاي:**

بعد مجزرة أريحا وعودة يوشع منتشياً بالنصر، توجه إلى لمهاجمة «عاي» الواقعة شرق بيت إيل، لكنها صدته وهزمته، فلجأ إلى الخداع والحيلة للسيطرة عليها بخديعة تمثلت بالتظاهر بالانسحاب، ولما اطمأن أهلها وخرجوا، وقعوا في كمين أعده لهم مسبقاً.

وبعد نجاح خطته يقول التوراة في سفر يشوع (٨ : ٢٤-٢٩):

«وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايٍ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ.وَيَشُوعُ لَمْ يَرُدَّ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايٍ.لكِنِ الْبَهَائِمُ وَغَنِيمَةُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ.وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاًّ أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ.وَمَلِكُ عَايٍ عَلَّقَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ .وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جُثَّتَهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا رُجْمَةَ حِجَارَةٍ عَظِيمَةً إِلَى هذَا الْيَوْمِ».

- **مجازر مقيدة ولبنة لخيش وعجلون والخليل:**

وقد أتى ذكر مجزرة مقيدة في سفر يشوع(١٠: ٢٥-٢٨):

«فَقَالَ لَهُمْ يَشُوعُ: لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَعِبُوا. تَشَدَّدُوا وَتَشَجَّعُوا. لأَنَّهُ هكَذَا يَفْعَلُ الرَّبُّ بِجَمِيعِ أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ تُحَارِبُونَهُمْ. وَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ بَعْدَ ذلِكَ وَقَتَلَهُمْ وَعَلَّقَهُمْ عَلَى خَمْسِ خَشَبٍ، وَبَقُوا مُعَلَّقِينَ عَلَى الْخَشَبِ حَتَّى الْمَسَاءِ.وَكَانَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَنَّ يَشُوعَ أَمَرَ فَأَنْزَلُوهُمْ عَنِ الْخَشَبِ وَطَرَحُوهُمْ فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي اخْتَبَؤُوا فِيهَا، وَوَضَعُوا حِجَارَةً كَبِيرَةً عَلَى فَمِ الْمَغَارَةِ حَتَّى إِلَى هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ.وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا

بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا».

أما مجزرة لبنة فورد ذكرها في ذات السفر الإصحاح العاشر (٢٩–٣٠):

«ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ مِنْ مَقِّيدَةَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى لِبْنَةَ، وَحَارَبَ لِبْنَةَ. فَدَفَعَهَا الرَّبُّ هِيَ أَيْضاً بِيَدِ إِسْرَائِيلَ مَعَ مَلِكِهَا، فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ بِهَا شَارِداً، وَفَعَلَ بِمَلِكِهَا كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا».

وذكرت مجزرة لخيش في سفر يشوع (١٠: ٣١– ٣٢):

«ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَخِيشَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَارَبَهَا. فَدَفَعَ الرَّبُّ لَخِيشَ بِيَدِ إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ».

وكان لمدينة عجلون في الأردن حصتها من المجازر اليهودية حسب ما جاء في سفر يشوع (١٠: ٣٤–٣٥):

«ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لَخِيشَ إِلَى عَجْلُونَ فَنَزَلُوا عَلَيْهَا وَحَارَبُوهَا. وَأَخَذُوهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ كُلَّ نَفْسٍ بِهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلَخِيشَ».

الخليل أيضاً شهدت مجزرة تحدّث عنها سفر يشوع (١٠: ٣٦–٣٧):

«ثُمَّ صَعِدَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ عَجْلُونَ إِلَى حَبْرُونَ وَحَارَبُوهَا، وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِداً حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا».

ويمضي سفر يشوع في التحدث عن بقية المجازر في الإصحاح العاشر (٣٨-٤٢):

«ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى دَبِيرَ وَحَارَبَهَا، وَأَخَذَهَا مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا، وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَحَرَّمُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِداً. كَمَا فَعَلَ بِحَبْرُونَ كَذلِكَ فَعَلَ بِدَبِيرَ وَمَلِكِهَا، وَكَمَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ وَمَلِكِهَا. فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ. فَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ إِلَى غَزَّةَ وَجَمِيعَ أَرْضِ جُوشِنَ إِلَى جِبْعُونَ. وَأَخَذَ يَشُوعُ جَمِيعَ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَأَرْضِهِمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ».

وفي سفر يوشع (١١: ١٠-١٨) سرد لعدة مجازر تبدأ بمجزرة صور «حاصور»:

«ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. غَيْرَ أَنَّ الْمُدُنَ الْقَائِمَةَ عَلَى تِلاَلِهَا لَمْ يُحْرِقْهَا إِسْرَائِيلُ، مَا عَدَا حَاصُورَ وَحْدَهَا أَحْرَقَهَا يَشُوعُ. وَكُلُّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدُنِ وَالْبَهَائِمَ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً. كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى عَبْدَهُ هكَذَا أَمَرَ مُوسَى يَشُوعَ، وَهكَذَا فَعَلَ يَشُوعُ. لَمْ يُهْمِلْ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى. فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ تِلْكَ

الأَرْضِ: الْجَبَلَ، وَكُلَّ الْجَنُوبِ، وَكُلَّ أَرْضِ جُوشِنَ وَالسَّهْلَ وَالْعَرَبَةَ وَجَبَلَ إِسْرَائِيلَ وَسَهْلَهُ. مِنَ الْجَبَلِ الأَقْرَعِ الصَّاعِدِ إِلَى سَعِيرَ إِلَى بَعْلِ جَادَ فِي بُقْعَةِ لُبْنَانَ تَحْتَ جَبَلِ حَرْمُونَ. وَأَخَذَ جَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ وَقَتَلَهُمْ. فَعَمِلَ يَشُوعُ حَرْبًا مَعَ أُولئِكَ الْمُلُوكِ أَيَّامًا كَثِيرَةً».

عمليات الإبادة الجماعية التي حاء التوراة على ذكرها في العصور القديمة، لم تكن الوحيدة في تاريخ اليهود، بل تواصلت منذ ما قبل الكيان الإسرائيلي العام ١٩٤٨، وهي مستمرة حتى اليوم؛ وقد تم جمع المجازر ذات العدد الأكبر من الشهداءفي الملحق رقم (١) في نهاية هذا الكتاب، وهناك الملحق الثالث الذي يتضمن دراسة للدكتور حنا عيسى يتناول فيها ما جاء في كتاب «عقيدة الملك» الذي صدر في شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٩، وهو من تأليف الحاخامان «يتسحاق شابيرا» و «يوسيف اليتسور» من مستوطنة «يتسهار» المجاورة لمدينة نابلس، والكتاب يمثل دعوة جديدة لقتل الفلسطينيين بالاستناد الى ما جاء في التوزاة، وقد تم نشر الدراسة بعد اخذ موافقة الدكتور حنا عيسى مشكوراً.



قتل الأطفال في التوراة

انطلاقاً من فكرة المجزرة القائمة على الانتقام، والتي تحظى بهالة مقدسة لدى اليهود، وهي أقرب إلى العبادة والتقرب من الرب، فيجب عدم استثناء أحد من هذا الانتقام «العبادي» بما في ذلك الأطفال، باعتبار أن قتلهم حسب الاعتقاد اليهودي فيه إنقاذٌ لليهود، ومنع لتحولهم إلى أشرار عندما يكبرون.

وقد ورد قتل الأطفال كموضوع محدد، في التوراة في أكثر من سفر وإصحاح، مرتبط بشكل مباشر بنظرية الإبادة، وإن حمل نزعة أكثر إجرامية.

فقد جاء في سفر أشعياء (١٣:١٥-١٦ و ١٨) حول تحطيم الأطفال أمام أعين أهلهم:

«كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ»... «فَتُحَطِّمُ الْقِسِيُّ الْفِتْيَانَ، ولاَ يَرْحَمُونَ ثَمَرَةَ الْبَطْنِ. لاَ تُشْفِقُ عُيُونُهُمْ عَلَى الأَوْلاَدِ».

وفي السفر التوراتي إياه (١٤:٢١-٢٢) يأتي ذكر قتل الأطفال لقطع نسل البابليين من الوجود:

«هَيِّئُوا لِبَنِيهِ قَتْلاً بِإِثْمِ آبَائِهِمْ، فَلاَ يَقُومُوا وَلاَ يَرِثُوا الأَرْضَ وَلاَ يَمْلؤوا وَجْهَ الْعَالَمِ مُدُنًا .فَأَقُومُ عَلَيْهِمْ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. وَأَقْطَعُ مِنْ بَابِلَ اسْمًا وَبَقِيَّةً وَنَسْلاً وَذُرِّيَّةً».

وفي المزمور ١٣٧ (٨-٩) يقول التوراة:

«يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا.طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ».

وفي تحطيم الأطفال وقتل الأجنة في بطون أمهاتهم جاء في سفر يوشع (١٣: ١٦) حرفياً:

«تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ».

أما في سفر القضاة (٢١: ١٠):

«فَأَرْسَلَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى هُنَاكَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُل مِنْ بَنِي الْبَأْسِ، وَأَوْصَوْهُمْ قَائِلِينَ: «اذْهَبُوا وَاضْرِبُوا سُكَّانَ يَابِيشِ جِلْعَادَ بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ».

وفي سفر العدد (٣١: ١٧) هناك أمر صريح وواضح بصيغة الأمر بقتل الأطفال:

«فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ

اقْتُلُوهَا». وفي سفر صموئيل الأول (١٥:٣) يتكرر الأمر ولكن بشكل أكثر وحشية ودموية، «فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا».

ويستمر التحريض التوراتي على قتل الأطفال في سفر حزقيال (٩ : ٥ -٦):

«وَقَالَ لأُولئِكَ فِي سَمْعِي: اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاضْرِبُوا. لاَ تُشْفِقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ».

وفي سفر صموئيل الأول(١٥ : ٣) تكتمل أركان المجزرة بوضع الأطفال والرضع على لائحة القتل:

«فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا».

وفي السفر نفسه (٢٢: ١٩) تأكيد جديد على قتل الأطفال والرُّضّع:

«وَضَرَبَ نُوبَ مَدِينَةَ الْكَهَنَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ. الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَالرِّضْعَانَ وَالثِّيرَانَ وَالْحَمِيرَ وَالْغَنَمَ بِحَدِّ السَّيْفِ».

وبعد هذه الشواهد على وقائع قتل الأطفال في التوراة، لن يبقي هناك مجال للاستغراب أو البحث عن أسباب لما يقوم به جيش الاحتلال الإسرائيلي من قتل للأطفال الفلسطينيين والأجنة في أرحام أمهاتهم أو اعتقالهم وتعذيبهم، ولعل العدد الكبير للشهداء والجرحى من الأطفال الفلسطينيين والعرب في كل حروب واعتداءات الكيان الإسرائيلي، يؤكد مرة بعد أخرى، تأصل نزعة استهداف الأطفال والطفولة عند اليهود.

الفصل الرابع

الفلسطينيون والمدن العربية في التوراة

التوراة والفلسطينيون

طبعا لايمكن القراءة في التوراة دون التركيز على نظرته وورود اسم الفلسطينيين فيه، وقد ورد ذلك في:

-سفر القضاة (٣: ٣و٣١):

«أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْخَمْسَةُ، وَجَمِيعُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالصِّيْدُونِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ سُكَّانِ جَبَلِ لُبْنَانَ، مِنْ جَبَلِ بَعْلِ حَرْمُونَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاةَ». و«ضرب شمجر بن عناة من الفلسطينيّن ستّمائة رجل بمنساس البقر».

- سفر القضاة (١٥: ٣- ٦) :

« فَقَالَ لَهُمْ شَمْشُونُ: إِنِّي بَرِيءٌ الآنَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ إِذَا عَمِلْتُ بِهِمْ شَرًّا.وَذَهَبَ شَمْشُونُ وَأَمْسَكَ ثَلاَثَ مِئَةِ ابْنِ آوَى، وَأَخَذَ مَشَاعِلَ وَجَعَلَ ذَنَبًا إِلَى ذَنَبٍ، وَوَضَعَ مَشْعَلاً بَيْنَ كُلِّ ذَنَبَيْنِ فِي الْوَسَطِ .ثُمَّ أَضْرَمَ الْمَشَاعِلَ نَارًا وَأَطْلَقَهَا بَيْنَ زُرُوعِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَأَحْرَقَ الأَكْدَاسَ وَالزَّرْعَ وَكُرُومَ الزَّيْتُونِ.فَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ: مَنْ فَعَلَ هذَا؟ فَقَالُوا: شَمْشُونُ صِهْرُ التِّمْنِيِّ،

لأَنَّهُ أَخَذَ امْرَأَتَهُ وَأَعْطَاهَا لِصَاحِبِهِ. فَصَعِدَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَأَحْرَقُوهَا وَأَبَاهَا بِالنَّارِ».

- وتكرر اسم الفلسطينيين في سفر القضاة (٣: ٩-١٤، ٢٠):

«وَصَعِدَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَنَزَلُوا فِي يَهُوذَا وَتَفَرَّقُوا فِي لَحْيٍ. فَقَالَ رِجَالُ يَهُوذَا: لِمَاذَا صَعِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَقَالُوا: صَعِدْنَا لِكَيْ نُوثِقَ شَمْشُونَ لِنَفْعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِنَا. فَنَزَلَ ثَلاَثَةُ آلاَفِ رَجُلٍ مِنْ يَهُوذَا إِلَى شَقِّ صَخْرَةِ عِيطَمَ، وَقَالُوا لِشَمْشُونَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مُتَسَلِّطُونَ عَلَيْنَا؟ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُمْ: كَمَا فَعَلُوا بِي هكَذَا فَعَلْتُ بِهِمْ. فَقَالُوا لَهُ: نَزَلْنَا لِكَيْ نُوثِقَكَ وَنُسَلِّمَكَ إِلَى يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. فَقَالَ لَهُمْ شَمْشُونُ احْلِفُوا لِي أَنَّكُمْ أَنْتُمْ لاَ تَقَعُونَ عَلَيَّ. فَكَلَّمُوهُ قَائِلِينَ: كَلاَّ. وَلكِنَّنَا نُوثِقُكَ وَنُسَلِّمُكَ إِلَى يَدِهِمْ، وَقَتْلاً لاَ نَقْتُلُكَ. فَأَوْثَقُوهُ بِحَبْلَيْنِ جَدِيدَيْنِ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الصَّخْرَةِ. وَلَمَّا جَاءَ إِلَى لَحْيٍ، صَاحَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِلِقَائِهِ. فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، فَكَانَ الْحَبْلاَنِ اللَّذَانِ عَلَى ذِرَاعَيْهِ كَكَتَّانٍ أُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَانْحَلَّ الْوِثَاقُ عَنْ يَدَيْهِ»... «وَقَضَى لإِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عِشْرِينَ سَنَةً».

- سفر صموئيل الأول (١٨: ٢٥- ٢٧):

«فَقَالَ شَاوُلُ: هكَذَا تَقُولُونَ لِدَاوُدَ: لَيْسَتْ مَسَرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ، بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. وَكَانَ شَاوُلُ يَتَفَكَّرُ أَنْ يُوقِعَ دَاوُدَ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. فَأَخْبَرَ عَبِيدُهُ دَاوُدَ بِهذَا الْكَلاَمِ، فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ دَاوُدَ أَنْ يُصَاهِرَ الْمَلِكَ. وَلَمْ تَكْمُلِ الأَيَّامُ. حَتَّى قَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَرِجَالُهُ وَقَتَلَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَتَيْ رَجُلٍ، وَأَتَى دَاوُدُ بِغُلَفِهِمْ فَأَكْمَلُوهَا لِلْمَلِكِ

لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ. فَأَعْطَاهُ شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً».

- سفر صموئيل الثاني (٢٣: ٩-١٦):

«وَبَعْدَهُ أَلِعَازَارُ بْنُ دُودُو بْنِ أَخُوخِي، أَحَدُ الثَّلاَثَةِ الأَبْطَالِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ دَاوُدَ حِينَمَا عَيَّرُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا هُنَاكَ لِلْحَرْبِ وَصَعِدَ رِجَالُ إِسْرَائِيل. أَمَّا هُوَ فَأَقَامَ وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ حَتَّى كَلَّتْ يَدُهُ، وَلَصِقَتْ يَدُهُ بِالسَّيْفِ، وَصَنَعَ الرَّبُّ خَلاَصًا عَظِيمًا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَرَجَعَ الشَّعْبُ وَرَاءَهُ لِلنَّهْبِ فَقَطْ. وَبَعْدَهُ شَمَّةُ بْنُ أَجِي الْهَرَارِيُّ. فَاجْتَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ جَيْشًا، وَكَانَتْ هُنَاكَ قِطْعَةُ حَقْلٍ مَمْلُوءَةٌ عَدَسًا، فَهَرَبَ الشَّعْبُ مِنْ أَمَامِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. فَوَقَفَ فِي وَسَطِ الْقِطْعَةِ وَأَنْقَذَهَا، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَصَنَعَ الرَّبُّ خَلاَصًا عَظِيمًا. وَنَزَلَ الثَّلاَثَةُ مِنَ الثَّلاَثِينَ رَئِيسًا وَأَتَوْا فِي الْحَصَادِ إِلَى دَاوُدَ إِلَى مَغَارَةِ عَدُلاَّمَ، وَجَيْشُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ نَازِلٌ فِي وَادِي الرَّفَائِيِّينَ. وَكَانَ دَاوُدُ حِينَئِذٍ فِي الْحِصْنِ، وَحَفَظَةُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ حِينَئِذٍ فِي بَيْتِ لَحْم. فَتَأَوَّهَ دَاوُدُ وَقَالَ: «مَنْ يَسْقِينِي مَاءً مِنْ بِئْرِ بَيْتِ لَحْم الَّتِي عِنْدَ الْبَابِ؟ فَشَقَّ الأَبْطَالُ الثَّلاَثَةُ مَحَلَّةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَاسْتَقَوْا مَاءً مِنْ بِئْرِ بَيْتِ لَحْم الَّتِي عِنْدَ الْبَابِ، وَحَمَلُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى دَاوُدَ، فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَشْرَبَهُ، بَلْ سَكَبَهُ لِلرَّبِّ».

بعض من تناقض التوراة:

أثناء البحث في التوراة المليئة بالتناقضات، نجد أنها حملت في بعض أسفارها ما يؤكد أسبقية سكن الفلسطينيين بأرض فلسطين قبل اليهود وقد جاء ذلك في:

- سفر التكوين (٢١: ٣٢ و ٣٤):

«فَقَطَعَا مِيثَاقًا فِي بِئْرِ سَبْعٍ، ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ»، «وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً».

- سفر التكوين (٢٦: ١):

«وَكَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ..».

- سفر القضاة (١٣: ١ و٥):

«ثُمَّ عَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً».. «فَهَا إِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا، وَلاَ يَعْلُ مُوسَى رَأْسَهُ، لأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا للهِ مِنَ الْبَطْنِ، وَهُوَ يَبْدَأُ يُخَلِّصُ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ».

عواصم ومدن عربية في التوراة

لم يَكتفِ التوراة بالتحريض على ارتكاب المجازر والإبادة في المدن والقرى التي دخلها اليهود وأنبياؤهم وملوكهم، بل تتحدث عن رؤيا لبعض المدن والعواصم العربية، وربما هذا يفسر ما جرى ويجري فيها الآن من حروب ودمار، بتدخل مباشر من الكيان الإسرائيلي، فها هو أشعياء يتحدث عن دمشق قائلاً: في سفره (١٧ : ١):

«وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ دِمَشْقَ: هُوَذَا دِمَشْقُ تُزَالُ مِنْ بَيْنِ الْمُدُنِ وَتَكُونُ رُجْمَةَ رَدْمٍ».

ويعيد أرميا ذكرها في سفره (٤٩ : ٢٣-٢٧):

«عَنْ دِمَشْقَ: «خَزِيَتْ حَمَاةُ وَأَرْفَادُ. قَدْ ذَابُوا لأَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا خَبَرًا رَدِيئًا. فِي الْبَحْرِ اضْطِرَابٌ لاَ يَسْتَطِيعُ الْهُدُوءَ . ارْتَخَتْ دِمَشْقُ وَالْتَفَتَتْ لِلْهَرَبِ. أَمْسَكَتْهَا الرِّعْدَةُ، وَأَخَذَهَا الضِّيقُ وَالأَوْجَاعُ كَمَاخِضٍ .كَيْفَ لَمْ تُتْرَكِ الْمَدِينَةُ الشَّهِيرَةُ، قَرْيَةُ فَرَحِي؟لِذلِكَ تَسْقُطُ شُبَّانُهَا فِي شَوَارِعِهَا، وَتَهْلِكُ كُلُّ

رِجَالِ الْحَرْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ.وَأُشْعِلُ نَارًا فِي سُورِ دِمَشْقَ فَتَأْكُلُ قُصُورَ بَنْهَدَدَ».

ويذكر أرميا في سفره (٤:٤٧) صور وصيدا:

« بِسَبَبِ الْيَوْمِ الآتِي لِهَلاَكِ كُلِّ لْفِلِسْطِينِيِّينَ، لِيَنْقَرِضَ مِنْ صُورَ وَصَيْدُونَ كُلُّ بَقِيَّةٍ تُعِينُ، لأَنَّ الرَّبَّ يُهْلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، بَقِيَّةَ جَزِيرَةِ كَفْتُورَ».

وفيما يبدو أن أرميا متخصص في النبوءات للمدن العربية، فيقول عن بلدة مؤآب في الأردن، سفر أرميا (٤٨:٣٨):

«عَلَى كُلِّ سُطُوحِ مُوآبَ وَفِي شَوَارِعِهَا كُلِّهَا نَوْحٌ، لأَنِّي قَدْ حَطَمْتُ مُوآبَ كَإِنَاءٍ لاَ مَسَرَّةَ بِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ».

أما العاصمة الأردنية عمّان التي كانت تحمل اسم ربة عمون، فيقول عن عمان وأهلها أرميا (٤٩: ١-٥):

«عَنْ بَنِي عَمُّونَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَلَيْسَ لإِسْرَائِيلَ بَنُونَ، أَوْ لاَ وَارِثٌ لَهُ؟ لِمَاذَا يَرِثُ مَلِكُهُمْ جَادَ، وَشَعْبُهُ يَسْكُنُ فِي مُدُنِهِ؟ لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُسْمِعُ فِي رَبَّةِ بَنِي عَمُّونَ جَلَبَةَ حَرْبٍ، وَتَصِيرُ تَلاًّ خَرِبًا، وَتُحْرَقُ بَنَاتُهَا بِالنَّارِ، فَيَرِثُ إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ وَرِثُوهُ، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلْوِلِي يَا حَشْبُونُ لأَنَّ عَايَ قَدْ خَرِبَتْ. صْرُخْنَ يَا بَنَاتِ رَبَّةَ. تَنَطَّقْنَ بِمُسُوحٍ. انْدُبْنَ وَطَوِّفْنَ بَيْنَ الْجُدْرَانِ، لأَنَّ مَلِكَهُمْ يَذْهَبُ إِلَى السَّبْيِ هُوَ وَكَهَنَتُهُ وَرُؤَسَاؤُهُ مَعًا.مَا بَالُكِ تَفْتَخِرِينَ بِالأَوْطِيَةِ؟ قَدْ فَاضَ وَطَاؤُكِ دَمًا أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْمُرْتَدَّةُ وَالْمُتَوَكِّلَةُ عَلَى خَزَائِنِهَا، قَائِلَةً: مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ؟هأَنَذَا أَجْلِبُ عَلَيْكِ خَوْفًا،يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ،مِنْ

جَمِيعِ الَّذِينَ حَوَالَيْكِ، وَتُطْرَدُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا أَمَامَهُ، وَلَيْسَ مَنْ يَجْمَعُ التَّائِهِينَ».

وكان لمؤاب نصيبها الكبير من الدمار في الرؤى التوراتية في سفر أشعياء (١٥ : ١-٩):

«وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مُوآبَ: إِنَّهُ فِي لَيْلَةٍ خَرِبَتْ عَارُ مُوآبَ وَهَلَكَتْ. إِنَّهُ فِي لَيْلَةٍ خَرِبَتْ قِيرُ مُوآبَ وَهَلَكَتْ. إِلَى الْبَيْتِ وَدِيبُونَ يَصْعَدُونَ إِلَى الْمُرْتَفَعَاتِ لِلْبُكَاءِ. تُوَلْوِلُ مُوآبُ عَلَى نَبُو وَعَلَى مَيْدَبَا. فِي كُلِّ رَأْسٍ مِنْهَا قَرْعَةٌ. كُلُّ لِحْيَةٍ مَجْزُوزَةٌ. فِي أَزِقَّتِهَا يَأْتَزِرُونَ بِمِسْحٍ. عَلَى سُطُوحِهَا وَفِي سَاحَاتِهَا يُوَلْوِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا سَيَّالاً بِالْبُكَاءِ. وَتَصْرُخُ حَشْبُونُ وَأَلْعَالَةُ. يُسْمَعُ صَوْتُهُمَا إِلَى يَاهَصَ. لِذلِكَ يَصْرُخُ مُتَسَلِّحُو مُوآبَ، نَفْسُهَا تَرْتَعِدُ فِيهَا. يَصْرُخُ قَلْبِي مِنْ أَجْلِ مُوآبَ. الْهَارِبِينَ مِنْهَا إِلَى صُوغَرَ كَعِجْلَةٍ ثُلاَثِيَّةٍ، لأَنَّهُمْ يَصْعَدُونَ فِي عَقَبَةِ اللُّوحِيثِ بِالْبُكَاءِ، لأَنَّهُمْ فِي طَرِيقِ حُورُونَايِمَ يَرْفَعُونَ صُرَاخَ الانْكِسَارِ. لأَنَّ مِيَاهَ نِمْرِيمَ تَصِيرُ خَرِبَةً، لأَنَّ الْعُشْبَ يَبِسَ. الْكَلأُ فَنِيَ. الْخُضْرَةُ لاَ تُوجَدُ. لِذلِكَ الثَّرْوَةُ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا وَذَخَائِرُهُمْ يَحْمِلُونَهَا إِلَى عَبْرِ وَادِي الصَّفْصَافِ. لأَنَّ الصُّرَاخَ قَدْ أَحَاطَ بِتُخُومِ مُوآبَ. إِلَى أَجْلاَيِمَ وَلْوَلَتُهَا. وَإِلَى بِئْرِ إِيلِيمَ وَلْوَلَتُهَا. لأَنَّ مِيَاهَ دِيمُونَ تَمْتَلِئُ دَمًا، لأَنِّي أَجْعَلُ عَلَى دِيمُونَ زَوَائِدَ. عَلَى النَّاجِينَ مِنْ مُوآبَ أَسَدًا وَعَلَى بَقِيَّةِ الأَرْضِ».

ويمضي أشعياء في سفره في الحديث عن مؤاب (١٦ : ٦- ١٤):

«قَدْ سَمِعْنَا بِكِبْرِيَاءِ مُوآبَ الْمُتَكَبِّرَةِ جِدًّا عَظَمَتِهَا وَكِبْرِيَائِهَا وَصَلَفِهَا بُطْلِ افْتِخَارِهَا. لِذلِكَ تُوَلْوِلُ مُوآبُ. عَلَى مُوآبَ كُلُّهَا يُوَلْوِلُ. تَئِنُّونَ عَلَى أُسُسِ قِيرَ

حَارِسَةَ، إِنَّمَا هِيَ مَضْرُوبَةٌ. لأَنَّ حُقُولَ حَشْبُونَ ذَبُلَتْ. كَرْمَةُ سِبْمَةَ كَسَّرَ أُمَرَاءُ الأُمَمِ أَفْضَلَهَا. وَصَلَتْ إِلَى يَعْزِيرَ. تَاهَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ، امْتَدَّتْ أَغْصَانُهَا، عَبَرَتِ الْبَحْرَ. لِذلِكَ أَبْكِي بُكَاءَ يَعْزِيرَ عَلَى كَرْمَةِ سِبْمَةَ. أُرْوِيكُمَا بِدُمُوعِي يَا حَشْبُونُ وَأَلْعَالَةُ، لأَنَّهُ عَلَى قِطَافِكِ وَعَلَى حَصَادِكِ قَدْ وَقَعَتْ جَلَبَةٌ. وَانْتُزِعَ الْفَرَحُ وَالابْتِهَاجُ مِنَ الْبُسْتَانِ، وَلاَ يُغَنَّى فِي الْكُرُومِ وَلاَ يُتَرَنَّمُ، وَلاَ يَدُوسُ دَائِسٌ خَمْرًا فِي الْمَعَاصِرِ. أَبْطَلْتُ الْهُتَافَ. لِذلِكَ تَرِنُّ أَحْشَائِي كَعُودٍ مِنْ أَجْلِ مُوآبَ وَبَطْنِي مِنْ أَجْلِ قِيرَ حَارِسَ. وَيَكُونُ إِذَا ظَهَرَتْ، إِذَا تَعِبَتْ مُوآبُ عَلَى الْمُرْتَفَعَةِ وَدَخَلَتْ إِلَى مَقْدِسِهَا تُصَلِّي، أَنَّهَا لاَ تَفُوزُ. هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ مُوآبَ مُنْذُ زَمَانٍ. وَالآنَ تَكَلَّمَ الرَّبُّ قَائِلاً: «فِي ثَلاَثِ سِنِينَ كَسِنِي الأَجِيرِ يُهَانُ مَجْدُ مُوآبَ بِكُلِّ الْجُمْهُورِ الْعَظِيمِ، وَتَكُونُ الْبَقِيَّةُ قَلِيلَةً صَغِيرَةً لاَ كَبِيرَةً».

وفي سفر صفنيا جاء عن مؤاب أيضاً في (٢: ٨-١٠):

«قَدْ سَمِعْتُ تَعْيِيرَ مُوآبَ وَتَجَادِيفَ بَنِي عَمُّونَ الَّتِي بِهَا عَيَّرُوا شَعْبِي، وَتَعَظَّمُوا عَلَى تُخُمِهِمْ .فَلِذلِكَ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، إِنَّ مُوآبَ تَكُونُ كَسَدُومَ وَبَنِي عَمُّونَ كَعَمُورَةَ، مِلْكَ الْقَرِيصِ، وَحُفْرَةَ مِلْحٍ، وَخَرَابًا إِلَى الأَبَدِ. نَهَبُهُمْ بَقِيَّةُ شَعْبِي، وَبَقِيَّةُ أُمَّتِي تَمْتَلِكُهُمْ .هذَا لَهُمْ عِوَضُ تَكَبُّرِهِمْ، لأَنَّهُمْ عَيَّرُوا وَتَعَظَّمُوا عَلَى شَعْبِ رَبِّ الْجُنُودِ.»

أما العراق التي سماها التوراة «بنت بابل»، فإضافة إلى المجزرة التي تعرضت لها، تنبأت التوراة في سفر إرميا (٥١: ٥٨):

«هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنَّ أَسْوَارَ بَابِلَ الْعَرِيضَةَ تُدَمَّرُ تَدْمِيرًا، وَأَبْوَابُهَا

الشَّامِخَةَ تُحْرَقُ بِالنَّارِ، فَتَتْعَبُ الشُّعُوبُ لِلْبَاطِلِ، وَالْقَبَائِلُ لِلنَّارِ حَتَّى تَعْيَا».

وفي سفر إرميا ذاته (٥٠: ٤٢):

«يُمْسِكُونَ الْقَوْسَ وَالرُّمْحَ. هُمْ قُسَاةٌ لاَ يَرْحَمُونَ. صَوْتُهُمْ يَعِجُّ كَبَحْرٍ، وَعَلَى خَيْل يَرْكَبُونَ،مُصْطَفِّينَ كَرَجُل وَاحِدٍ لِمُحَارَبَتِكِ يَا بِنْتَ بَابِلَ».

ويتابع أرميا في (٥١: ٣٣):

«لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ بِنْتَ بَابِلَ كَبَيْدَرٍ وَقْتَ دَوْسِهِ. بَعْدَ قَلِيل يَأْتِي عَلَيْهَا وَقْتُ الْحَصَادِ».

ويصور سفر أشعياء مستقبل العراق في (٤٧:١):

«اِنْزِلِي وَاجْلِسِي عَلَى التُّرَابِ أَيَّتُهَا الْعَذْرَاءُ ابْنَةَ بَابِلَ. اجْلِسِي عَلَى الأَرْضِ بِلاَ كُرْسِيٍّ يَا ابْنَةَ الْكَلْدَانِيِّينَ، لأَنَّكِ لاَ تَعُودِينَ تُدْعَيْنَ نَاعِمَةً وَمُتَرَفِّهَةً».

الملاحق

ملحق رقم (١)(*)

مجازر الكيان الإسرائيلي من العام ١٩٣٧

وقد اقتصر الذكر على أبرزها وأكثرها نتائج من حيث عدد الشهداء والجرحى،لأن تعدادها كلها يحتاج إلى مجلدات:

- **مجزرة سوق حيفا:** في ٦ / ٣/ ١٩٣٨، ألقى إرهابيو عصابتي «إتسل» و«ليحي» قنبلة على سوق حيفا؛ ما أدى إلى استشهاد ١٨ فلسطينياً، وإصابة ٣٨ آخرين بجروح.

- **مجزرة سوق حيفا الثانية:** في ٦/ ٧/ ١٩٣٨، فجّر إرهابيو عصابة «إتسل» الصهيونية سيارتين ملغومتين في سوق حيفا؛ ما أدى إلى استشهاد ٢١ فلسطينياً، وجرح ٥٢ آخرين.

- **مجزرة السوق العربية في حيفا:** بتاريخ ٢٥/ ٧/ ١٩٣٨، انفجرت سيارة ملغومة، وضعتها عصابة «إتسل» الإرهابية في السوق العربية في مدينة حيفا، فاستشهد جراء ذلك ٣٥ فلسطينياً، وجرح ٧٠ آخرون.

- **مجزرة سوق حيفا:** بتاريخ ٢٦/ ٧/ ١٩٣٨، ألقى أحد عناصر عصابة «إتسل» قنبلة يدوية في أحد أسواق حيفا، فاستشهد جراء ذلك ٤٧ فلسطينياً.

(*) مركز المعلومات الوطني الفلسطيني « وفا» – رام الله.

– ١٠٠ عام من الصراع – أحداث وتواريخ – مصلح الهباهبه ومريم مروه.

- **مجزرة حيفا:** بتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٣٩، فجّرت عصابة «إتسل» قنبلتين في مدينة حيفا، فاستشهد ٢٧ فلسطينياً، وجرح ٣٩ آخرون.

- **مجزرة سوق حيفا:** بتاريخ ٢٠/٦/١٩٤٧، وضعت عناصر من عصابتي «إتسل» و«ليحي» قنبلة في صندوق خضار مموَّه في سوق مدينة حيفا، وأسفر الانفجار عن استشهاد ٧٨ فلسطينياً وجرح ٢٤ آخرين.

-**مجزرة الشيخ بريك قرب حيف:** بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٤٧، هاجمت قوة من العصابات الصهيونية قرية الشيخ بريك، وقتلت ٤٠ شخصاً من سكانها.

- **مجزرة بلد الشيخ:** بتاريخ ٣١/ ١٢/ ١٩٤٧، نفذت قوة من «البالماخ» قوامها ١٧٠ إرهابياًهجوماً مسلحاً على قرية بلد الشيخ، عشية رأس السنة الميلادية، حيث طوقوا القرية ودمروا عشرات البيوت والممتلكات، ما أسفر عن سقوط ٦٠ شهيداً من بينهم عدد من الأطفال والنساء.

- **مجزرة عمارة المغربي في مدينة حيفا:** بتاريخ ١٦/ ١/ ١٩٤٨، دخل إرهابيون صهاينة كانوا متخفين بلباس الجنود البريطانيين، مخزناً قرب عمارة المغربي في شارع صلاح الدين في مدينة حيفا بحجة التفتيش، ووضعوا قنبلة موقوتة، أدى انفجارها إلى تهديم العمارة وما جاورها، واستشهد نتيجة ذلك ٣١ من الرجال والنساء والأطفال، وجُرح ما يزيد على ٦٠ شخصاً.

- مجزرة قطار حيفا: بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٤٨، لغمت عصابة «شتيرن» الإرهابية قطار القاهرة ـ حيفا السريع؛ فاستشهد ٤٠ شخصاً، وجرح ٦٠ آخرون.

- **مجزرة مدينة حيفا المزدوجة:** بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٤٨، هاجم الغزاة الصهاينة، بعد منتصف الليل، مدينة حيفا، فاحتلوا البيوت والشوارع والمباني

العامة، وقتلوا ٥٠ فلسطينياً وجرحوا ٢٠٠ آخرين، وقد فوجئ الفلسطينيون فأخرجوا نساءهم وأطفالهم إلى منطقة الميناء، لنقلهم إلى مدينة عكا، وفي الطريق هاجمتهم المواقع الصهيونية الأمامية، فاستشهد ١٠٠ فلسطيني، وجرح ٢٠٠ آخرون.

- **مجزرة السرايا العربية في مدينة يافا:** بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٤٨، وضعت العصابات الصهيونية سيارة ملغومة قرب مبنى السرايا العربية وسط مدينة يافا، وأدى انفجارها إلى استشهاد ٧٠ فلسطينياً إضافة إلى عشرات الجرحى.

- **مجزرة قرية سعسع:** بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٩٤٨، هاجمت قوة من كتيبة «بالماخ» الثالثة التابعة للـ«هجاناه» قرية سعسع، ودمرت عشرين منزلاً فوق رؤوس أصحابها، رغم أن أهل القرية قد رفعوا الأعلام البيضاء، وكانت حصيلة هذه المجزرة، استشهاد نحو ٦٠ من أهالي القرية، معظمهم من النساء والأطفال.

- **مجزرة دير ياسين:** في ٩ أبريل/ نيسان - ١٩٤٨ شّن مئة وعشرون رجلاً من «شتيرن» و«الأرغون» هجومهم على القرية، وبعد عمليات القتل؛ جابوا شوارع القرية وهم يهتفون فرحاً بنصرهم وقتلهم النساء والأطفال والشيوخ الأبرياء، وقد مثّل أفراد العصابات بجثث الضحايا، وألقوا بها في بئر القرية، وقد وصل عدد شهداء هذه المجزرة إلى ٢٤٥.

- **مجزرة قرية عين الزيتون:** ضمن عملية «يفتاح»؛ تقدمت قوات البالماخ في اتجاه الطريق نحو عين الزيتون من جهة الشمال، وذلك بتاريخ ٤/ ٥/ ١٩٤٨، وبعد اشتباكات مع سكان القرية ونفاد الذخيرة؛ احتلت القرية وتم تجميع أهاليها في أخدود قريب من القرية، وتم قتل ٧٠ منهم،

ومعظمهم من النساء الأطفال، وكان جميعهم مكبلي الأيدي.

- **مجزرة مدينة صفد**: بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٤٨، هاجمت عصابة «الهاجاناه» الإرهابية الصهيونية مدينة صفد، وذبحت نحو ٧٠ شاباً من شباب المدينة.

- **مجزرة بيت دراس**: بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٤٨، هاجمت قوة صهيونية من «لواء جفعاتي» معززة بالمصفحات، قرية بيت دراس، شمال شرقي مدينة غزة، وطوقتها لمنع وصول النجدات إليها، ثم بدأت تقصفها بنيران المدفعية وقذائف الهاون بغزارة كبيرة؛ فشعر أهل القرية بحرج الموقف وقرروا الصمود والدفاع عن منازلهم مهما كلف الأمر؛ لذلك فقد طلبوا من النساء والأطفال والشيوخ مغادرة القرية عبر الجانب الجنوبي، ولم يكونوا على علم بأن القرية مطوقة من مختلف الجهات؛ فما إن بلغوا مشارف القرية الخارجية حتى تصدى لهم الصهاينة بالنيران، رغم كونهم نساءً وأطفالاً وشيوخاً عزلاً، وكانت حصيلة المجزرة ٢٦٠ شهيداً.

- **مجزرة الطنطورة**: في ليل ٢٢- ٢٣ / ٥/ ١٩٤٨؛ هاجمت الكتيبة الثالثة والثلاثون من «لواء الكسندروني» في «الهاغاناه» القرية، وبعد معركة قصيرة سقطت القرية وهجر ١٢٠٠ من سكانها، وقد تم الكشف حديثاً على المقبرة الجماعية في قرية الطنطورة، وهي تضم أكثر من ٢٠٠ جثة شهيد.

- **مجزرة مدينة اللد**: بتاريخ ١١/ ٧/ ١٩٤٨، نفذت وحدة كوماندوز بقيادة موشيه ديان المجزرة بعد أن اقتحمت مدينة اللد مساءً تحت وابل من القذائف المدفعية وإطلاق النار الغزير على كل شيء يتحرك في شوارع المدينة، وقد احتمى المواطنون العرب من الهجوم في مسجد دهمش، وما أن

وصل الإرهابيون الصهاينة إلى المسجد، حتى قتلوا ١٧٦ مدنياً حاولوا الاحتماء فيه؛ ما رفع عدد ضحايا المذبحة الصهيونية إلى ٤٢٦ شهيداً.

- **مجزرة الدوايمة**: بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٩٤٨ كانت القرية مسرحاً لمجزرة كبيرة، في موجة الهجوم الأولى قتل الأطفال بضربهم على رؤوسهم بالهراوات، وإخرج نحو ٧٥ مسناً من مسجد الدراويش في القرية وتم قتلهم جميعاً، وقد أبيدت عائلات بأكملها في المجزرة التي أسفرت عن استشهاد ٢٠٠ من أبناء القرية.

- **مجزرة قرية الحولة**: بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ١٩٤٨، احتلت «فرقة كرميلي» التابعة للجيش الإسرائيلي القرية، وجمعت نحو ٧٠ مواطناً فلسطينياً من الذين ظلوا في القرية وأطلقت عليهم النار؛ فأردتهم قتلى.

- **مجزرة قرية الصفصاف**: بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٤٨، دخلت العصابات الصهيونية إلى القرية، وأخذت ٥٢ رجلاً من أهلها، ثم أطلقت عليهم النار، فاستشهد منهم عشرة، ورغم مناشدة النساء وطلب الرحمة، إلا أن الإجابة جاءت بثلاث حوادث اغتصاب، وقتل أربع فتيات أخريات.

- **مجزرة قبية**: حدثت في ليلة ١٤-١٥/ ١٠/ ١٩٥٣؛ عندما هاجم جنود إسرائيليون تحت قيادة أريئيل شارون، قرية قبية، وقتلوا فيها ٦٩ فلسطينياً، عدد منهم أثناء اختبائهم في بيوتهم التي تم تفجيرها، تم هدم ٤٥ منزلاً ومدرسة واحدة ومسجد.

- **مجزرة دير ياسين**: بتاريخ ٩ / ٤/ ١٩٤٨ مذبحة ارتكبتها منظمتان عسكريتان صهيونيتان هما: «الأرغون» (التي كان يتزعمها مناحم بيجين،

رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد) و«شتيرن ليحي» (التي كان يترأسها إسحاق شامير الذي خلف مناحيم بيغين في رئاسة الوزارة)، وتم الهجوم باتفاق مسبق مع «الهاجاناه»، وراح ضحيتها زهاء ٢٦٠ فلسطينياً من أهالي القرية العزّل، واستمرت أعمال القتل على مدى يومين، وقامت القوات الصهيونية بعمليات تشويه سادية (تعذيب ـ اعتداء ـ بتر أعضاء ـ ذبح الحوامل والمراهنة على نوع الأجنة)، وأُلقي بـ٥٣ من الأطفال الأحياء وراء سور المدينة القديمة، واقتيد ٢٥ من الرجال الأحياء في حافلات ليطوفوا بهم داخل القدس طواف النصر على غرار الجيوش الرومانية القديمة، ثم تم إعدامهم رمياً بالرصاص، وألقيت الجثث في بئر القرية وأُغلق بابه بإحكام لإخفاء معالم الجريمة.

- **مجزرة تل لتفنسكي:** بتاريخ ١٦ / ٤/ ١٩٤٨ قامت عصابة يهودية بمهاجمة معسكر سابق للجيش البريطاني يعيش فيه فلسطينيون وعرب، ما أسفر عن استشهاد ٩٠ منهم.

- **مجزرة حيفا:** بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٤٨ هاجم المستوطنون الصهاينة مدينة حيفا في منتصف الليل واحتلوها وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها، فهرع العرب الفلسطينيون العُزل الباقون للهرب عن طريق مرفأ المدينة، فتبعهم اليهود وأطلقوا عليهم النيران، وكانت حصيلة هذه المذبحة أكثر من ١٥٠ شهيداً و٤٠ جريحاً.

- **مجزرة بيت داراس:** بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٤٨ حاصر الإرهابيون الصهاينة قرية بيت داراس الواقعة شمال شرق مدينة غزة، ودعوا المواطنين الفلسطينيين إلى مغادرة القرية بسلام من الجانب الجنوبي، وسرعان ما

حصدت نيران الإرهابيين سكان القرية العُزل وبينهم نساء وأطفال وشيوخ، بينما كانوا يغادرون القرية وفق تعليمات قوة الحصار، وكانت القرية نفسها قد تعرضت لأكثر من هجوم صهيوني خلال شهري مارس وأبريل العام ١٩٤٨، وبعد أن نسف الإرهابيون الصهاينة منازل القرية وأحرقوا حقولها أقاموا مكانها مستعمرتين.

- **مجزرة اللد:** تُعَد عملية اللد أشهر مذبحة قامت بها قوات «البالماخ»، وفي الأول من تموز ١٩٤٨ فتح عناصر عصابة «البالماخ» نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة، وأخمدوا بوحشية هذا العصيان خلال ساعات قليلة، وأخذوا يتنقلون من منزل إلى آخر، يطلقون النار على أي هدف متحرك، وكانت نتيجتها استشهاد ٢٥٠ فلسطينياً.

- **مجزرة مخيم البريج:** بتاريخ ٢٨/ ٨/ ١٩٥٣ هاجمت قوات الجيش الإسرائيلي مخيم البريج الفلسطيني في قطاع غزة، وكانت حصيلة الهجوم استشهاد ٢٠ فلسطينياً وجرح ٦٢ آخرين.

- **مجزرة خان يونس في غزة:** وقعت بهذه المدينة مذبحتان في عام واحد، أولاهما في فجر يوم ٣٠ أيار، وثانيتهما في الثانية من بعد منتصف ليلة الأول من أيلول في العام ١٩٥٥، وراح ضحية الأولى عشرون شهيداً وجُرِح عشرون آخرون، أما الثانية فكانت حصيلتها استشهاد ستة وأربعين وجرح خمسين آخرين.

- **مجزرة كفر قاسم:** بتاريخ ٢٩ / ١٠/ ١٩٥٦؛ وعشية العدوان الثلاثي على مصر؛ نفذت قوة مما يسمى حرس الحدود التابعة للجيش الإسرائيلي مجزرة في القرية راح ضحيتها ٤٩ شهيداًو١٣ جريحاً.

- **مجزرة خان يونس الثالثة**: نُفذت المجزرة بتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٥٦؛ أثناء احتلال الجيش الإسرائيلي بلدة خان يونس؛ حيث تم فتح النار على سكان البلد، ومخيم اللاجئين المجاور لها وارتقى ٢٧٥ شهيداً من القرية والمخيم معاً.

- **مجزرة مصنع أبي زعبلفي مصر**: في ١٢/ ٢/ ١٩٧٠، وأثناء حرب الاستنزاف بين مصر و«إسرائيل»، أغارت الطائرات الإسرائيلية القاذفة على مصنع أبي زعبل، حيث كان يعمل في المصنع ١٣٠٠ عامل، وقد أسفرت هذه الغارة عن استشهاد سبعين عاملاً وإصابة ٦٩ آخرين، إضافة إلى احتراق المصنع.

- **مجزرة صيدا في لبنان**: في ١٦ /٦/ ١٩٨٢ وقع العدوان الإسرائيلي على لبنان؛ حيث قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان بعملية قتل جماعي راح ضحيتها ما لا يقل عن ٨٠ مدنياً، ممن كانوا مختبئين في بعض ملاجئ المدينة.

- **مجزرةصبرا وشاتيلا**: وقعت هذه المذبحة في ١٦ ـ ١٨ / ٩/ ١٩٨٢ بمخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين في بيروت، بعد دخول القوات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية بيروت، ونفذت المجزرةَ قوات إسرائيلية ومجموعات لبنانية مسلحة موالية لها، وكانت حصيلة المجزرة نحو ١٥٠٠ شهيد من الفلسطينيين واللبنانيين العزّل، بينهم الأطفال والنساء.

- **مجزرةحمامات الشط في تونس**. بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩٨٥ أغارت طائرات إسرائيلية على ضاحية حمامات الشط جنوبي العاصمة التونسية، وأسفرت عن سقوط ٥٠ شهيداً ومئة جريح من الفلسطينيين والتونسيين.

- **مجزرةالحرم الإبراهيمي**: فجر ٢٥/ ٢/ ١٩٩٤ دخل المستوطن اليهودي «باروخ جولدشتاين» الحرم الإبراهيمي الشريف وهو يحمل بندقيته الآلية

وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة، وأطلق النار على المصلين، ومن حاول منهم الخروج من المسجد أطلقت قوات الاحتلال النار عليه، وكانت حصيلة هذه المذبحة استشهاد ٦٠ فلسطينياً، فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجروح.

- **مجزرة قانا في لبنان:** بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٩٦، قصفت مدفعية وطائرات إسرائيلية معسكراً لقوات الطوارئ الدولية في قرية قانا اللبنانية، احتمى فيه مئات اللبنانيين، وكانت الحصيلة استشهاد ١٠٢ غالبيتهم من الأطفال والنساء.

- **مجزرة حي الدرج في غزة:** بتاريخ ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٢ أطلقت طائرة إسرائيلية من نوع أف ١٦ عدة صواريخ على منطقة سكنية بالقرب من ملعب اليرموك بمدينة غزة؛ ما أدى إلى تدمير منازل يسكنها عشرات العائلات، واستشهاد ١٧٤ فلسطينياً، بينهم ١١ طفلاً و٣ نساء، وأصيب ١٤٠ شخصاً.

- **مجازر رفح:** بتاريخ ١٨- ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٤ ارتكبت قوات الاحتلال الإسرائيلي مجزرة في رفح راح ضحيتها ٥٦ شهيداً و١٥٠ جريحاً معظمهم من الأطفال والنساء.



ملحق (٢)(*)

الإبادة وقتل الأطفال في الفكر التوراتي

مجلة البلاد اللبنانية ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٠

رقم العدد: ٥٠٨- بلال أحمد

مقدمة:

لم ترتبط نظرية الإبادة وقتل الأطفال بأي دين أو فكر وضعي كما ارتبطت بالفكر التوراتي، ووجدت تطبيقاتها العملية في الحقب السابقة، التي كان فيها لليهود وجود مؤثر وفاعل، وعادت للبروز مع بدايات إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين، وتستمر حتى اليوم، بأشكال متعددة وتحت ذرائع وتبريرات أوهى من خيوط العنكبوت.

الشواهد التوراتية على نظرية الإبادة لدى اليهود والتي ترتقي إلى موقع العبادة، أكثر من أن يجمعها موضوع واحد، ولكن بعض الأمثلة تكفي في هذا المجال، فقد جاء في سفر العدد (٩:٣١-١٠) حرفياً: **«وسبى بنو إسرائي لنساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم»، وتم ذلك بعد أن قتلوا كل الرجال**

(*)مقالي المنشور في مجلة البلاد اللبنانية باسم بلال أحمد ، كما نقله أحد المواقع الإلكترونية ، ووقع فيه أثناء الطباعة أخطاء طباعية في أرقام الإصحاحات والآيات، والذي تمت سرقته بأخطائه من أكثر من شخص.

والملوك.

المدن نوعان

وضمن هذه النظرية تم تقسيم المدن إلى نوعين: الأول البعيد عن فلسطين ويتم التعامل معه حسب سفر التثنية (١٠:٢٠-١٥): «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا».

والنوع الثاني من المدن، فهي الواقعة في فلسطين أو القريبة منها، والتي تعتبرها التوراة جزءاً من الأرض الموعودة، فيتم التعامل معها حسب سفر التثنية (١٦:٢٠-٢٠): «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً، فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك إلهك لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتكم فتخطئوا إلى الرب إلهكم».

وفي سفر التثنية (١٣:١٣-١٦) أيضاً نجد فكرة الإبادة مكرّسة من خلال القول: «قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين

نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها: وفحصت وفتشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس في وسطك، فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع البهائم بحد السيف، تجمع أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد».

وفي سفر يشوع (٤٠:١٠-٤٢) ذِكر واضح للإبادة التي قام بها يشوع: «فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها، لم يبقِ شارداً، بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل، فضربهم يشوع من قادش يدنبع إلى غزة وجميع أرض جوشن إلى جبعون، وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك أرضهم دفعة واحدة لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل».

وفي السفر ذاته (١٠:١١-١٢) يقول التوراة: «ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ صور وضرب ملكها بالسيف، لأن صور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك، وضربوا كل نفسب حد السيف حرموهم ولم تبق نسمة وأحرق صور بالنار، فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكهم وضربهم بحد السيف، حرمهم كما أمر موسى عبد الرب».

عمليات الإبادة الجماعية التي جاءت التوراة على ذكرها لم تكن الوحيدة في تاريخ اليهود، بل أضيفت إليها العشرات من العمليات، ونذكر منها في القرن الأخير مجازر دير ياسين وكفر قاسم وقبية في فلسطين وحولا وصبرا وشاتيلا وقانا في لبنان، وعمليات القصف بقنابل النابالم في الأردن وقتل

الأسرى المصريين في حربي ١٩٥٧ و١٩٦٧ والقائمة تطول، وربما لن تكون أخرها ما يجري في فلسطين هذه الأيام.

قتل الأطفال:

أما قتل الأطفال كموضوع محدد، فقد جاء ذكره في التوراة أيضاً في أكثر من موضع، مرتبطاً بشكل مباشر بنظرية الإبادة، وأن حمل نزعة أكثر إجرامية، فقد جاء في سفر أشعياء (١٢:١٣-١٨): **«واجعل الرجل أعز من الذهب الإبريز، والإنسان أعز من ذهب أوفير، لذلك أزلزل السماوات وتتزعزع الأرض من مكانها في سخط رب الجنود وفي يوم حمو غضبه، ويكونون كظبي طريد وغنم بلا من يجمعها، يلتفت كل واحد إلى شعبه ويهربون كل واحد إلى أرضه، كل من وجد يطعن وكل من انحاش يسقط بالسيف، وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم، ها أنذا أهيج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب، فتحطم القسي الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن، لا تشفق عيونهم على الأولاد».**

وفي السفر التوراتي إياه (١٤:٢١-٢٣) يأتي ذكر قتل الأطفال: **«هيئوا لبنيه قتلاً بإثم آبائهم فلا يقوموا ولا يرثوا الأرض ولا يملؤوا وجه العالم مدنا، فأقوم عليهم يقول رب الجنود واقطع من بابل اسما وبقية ونسلا وذرية يقول الرب، واجعلها ميراثا للقنفذ وآجام مياه واكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود».**

أما في سفر العدد (٣١:١٧) فهناك أمر صريح وواضح بصيغة الأمر بقتل الأطفال: **«فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً**

بمضاجعة ذكر اقتلوها»، وفي سفر صموئيل الأول (٢:١٥-٤) يتكرر الأمر ولكن بشكل أكثر وحشية ودموية: «فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً وغنماً جملاً وحماراً». وفي المزمور ١٣٧ يقول التوراة: «اذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم القائلين هدوا هدوا حتى إلى أساسها، يا بنت بابل المخربة طوبى لمنيجازيك جزاءك الذي جازيتنا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة».

وضمن هذا السياق التوراتي، يكمن لنا فهم دوافع قيام الصهاينة بقتل الأطفال في مدرسة «بحر البقر» المصرية في نيسان/ إبريل ١٩٧٠، وإصرارهم على قتل الطفل الفلسطيني محمد الدرة وهو في حضن والده، كتنفيذ لقول التوراة «وتحطم أطفالهم أمام عيونهم»، إنه القتل والإبادة المنطلقة من تعاليم توراتية، لم يضف إليها القادة الصهاينة جديداً عندما قالوا: «إن العربي الجيد هو العربي الميت».



ملحق رقم (٣)

«عقيدة الملك».. مضمون موجّه ضد الفلسطينيين(*)

بقلم الدكتور حنا عيسى - أستاذ القانون الدولي

٠٨-٠١-٢٠١٣

صدر كتاب «عقيدة الملك» في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٩ وهو من تأليف الحاخامين «يتسحاق شابيرا» و«يوسيف إليتسور» من مستوطنة «يتسهار» المجاورة لمدينة نابلس.

يهدف كتاب «عقيدة الملك» إلى تحديد موقف العقيدة والشّريعة اليهوديّة من «الأغيار» (الغوييم بالعبريّة) الذي ينبغي للدّولة اليهوديّة واليهود التزامه والسّير وفقه، ويصنّف هذا الكتاب البشر إلى مراتبَ متعدّدة، فيعتبر أنّ اليهود يتبوّؤون المرتبة العليا، وأنّهم أفضل عرق بشري، ويعتبر أنّ اليهود هم وحدهم الآدميّون الحقيقيّون، في حين أنّ «الأغيار» - أي غير اليهود - في مرتبةٍ أدنى، وتقترب مرتبتهم كثيراً من منزلة الحيوانات، لذلك ينبغي للدّولة اليهوديّة واليهود اتّخاذ مواقف التّمييز ضدّهم أو السّماح بقتلهم، أو ينبغي قتلهم في معظم الأحيان، ولا سيّما في أوقات الحرب.

إباحة قتل الفلسطينيّين

تناول الكتاب مسألة رئيسية هي: متى يُسمح لليهود بقتل «الأغيار»

(*) تم نشر المقال بعد أخذ موافقة الدكتور حنا عيسى .

(الغوييم)؟ ومتى ينبغي لليهود قتلهم؟

تجنباً للملاحقة القانونية، لم يستخدم المؤلفان كلمة عربي أو فلسطيني، غير أن مضمون الكتاب موجّه بشكل مباشر ضد الفلسطينيين، والدليل على ذلك هو ما جاء في المقدمة التي وضعها الحاخام يتسحاق غينزبورغ، الذي يحظى بمكانةٍ دينيّة مرموقة في التيّار الدّينيّ اليهوديّ في إسرائيل، حيث كتب: «إن القضايا التي يعالجها هذا الكتاب ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع في أرض إسرائيل، التي ينبغي لنا استرجاعها من أعدائنا».

واستطرد بالقول: إنّ كتاب «عقيدة الملك» «يأتي من أجل تحقيق هذا الهدف، ولتعزيز معنويّات شعب إسرائيل وجنوده، وليوضّح رأي العقيدة والشّريعة اليهوديّة بعمق وشموليّة في القضايا المهمّة المتعلّقة بهذا الأمر».

كما أكّد المؤلّفان أنّ «في الحرب على مصير أرض إسرائيل ينبغي قتْل الأغيار، فالأغيار الذين يطالبون بهذه البلاد لأنفسهم، يسلبونها منّا، في حين هي إرث لنا من آبائنا».

يشكّل هذا الكتاب دليلاً لمن يريد فتوى دينيّة يهوديّة في متى «يُسمح» بقتل العرب الفلسطينيّين ومتى «ينبغي» ذلك وفق الشّريعة اليهوديّة؟

تمت صياغة الكتاب بلغة عبريّة قديمة مشابهة للكتابات الدّينيّة اليهوديّة في العصور القديمة، وعزّز المؤلّفان آراءهما الواردة في الكتاب، لا سيّما تلك الدّاعية إلى قتل الأغيار، (أي الفلسطينيّين) بنصوص من الشّريعة اليهوديّة وبالاستشهاد والاقتباس بكثرة من كبار الحاخامات اليهود عبر العصور المختلفة، ما أضفى عليه هالة دينيّة تؤثّر في قسم كبير من اليهود، خاصّة

المتديّنين منهم.

واستند المؤلّفان في كتابهما إلى المصادر الدّينيّة المهمّة في الشّريعة اليهوديّة، فعلاوة على العقيدة المكتوبة التي اقتبسا منها قليلاً، استندا إلى العقيدة الشّفهيّة التي جُمعت في القرن الثّاني للميلاد في كتاب «المشناه»، وإلى اجتهادات الحاخامات اليهود التي جاءت بعد «المشناه» والتي جُمعت بدورها في «التّلمود»، سواء أكان ذلك التّلمود الذي جُمع في بابل في القرن الخامس الميلادي وأطلق عليه «التّلمود البابلي»، وإما التّلمود الذي جُمع في فلسطين في القرن الرّابع الميلادي وأُطلق عليه «التّلمود اليروشلمي».

كما استند كتاب «عقيدة الملك» إلى كتاب «مشنيه توراه» الذي جمعه الحاخام موسى بن ميمون (رمبام) وصنّفه وعقّب عليه وأضاف إليه شروحاً، في القرن الثّاني عشر ميلادي، وإلى كتابات الحاخام موشي بن نحمان (رمبان) في القرن الثّالث عشر، وإلى كتاب «شولحان عاروخ» (المائدة الجاهزة) للحاخام يوسف كارو الذي صدر في القرن السّادس عشر، كذلك إلى كتابات وفتاوى كبار حاخامات القرن العشرين الذين احتلّوا مكانة مرموقة في التّيّار الدّينيّ الصّهيونيّ مثل الحاخام كوك.

فصول الكتاب

ضم الكتاب ٢٣٠ صفحة ويتألف من مقدّمة وستّة فصول وخلاصة.

أكّد الفصل الأوّل أنّ فريضة «لا تقتل» الواردة في الشّريعة اليهوديّة، تحرّم قتل اليهوديّ لليهوديّ، ولكنّها لا تنطبق إطلاقاً على اليهوديّ الذي يقتل واحداً أو أكثر من الأغيار. وأشار الكتاب إلى أنّ من حقّ اليهوديّ في حالات

كثيرة قتل «الأغيار»، وأكّد أنّه في حالات أخرى كثيرة ينبغي لليهوديّ قتل الأغيار.

جاء الفصل الثّاني من الكتاب تحت عنوان: «قتل غير اليهوديّ الذي يخالف الفرائض السّبع»، وأكّد المؤلّفان أنّ غير اليهوديّ الذي يخالف واحدة من الفرائض السّبع المفروضة على «أبناء نوح» يجب قتله، فالله طلب من جميع البشر قبول توراته، واستجاب إلى هذا الطّلب «أبناء إسرائيل» فقط، في حين رفض جميع البشر الآخرين الاستجابة لطلب الله، لذلك، ميّز الله «أبناء إسرائيل» عن جميع البشر الآخرين ومنحهم مكانة مرموقة جداً وقرّبهم منه، وفي الوقت نفسه حطّ من منزلة «الأغيار».

وحسب ادّعاء المؤلفين، يحقّ لأيّ يهوديّ قتل أيّ شخص من «الأغيار» إذا خالف واحدة من الفرائض السّبع، وأكّد المؤلّفان أنّ قيام اليهوديّ بتنفيذ هذا القتْل لا يحتاج إلى محكمة وشهود إثبات، بل يكفي أن يرى أو يعرف أيّ يهوديّ أنّ غير اليهودي يخالف واحدة من الفرائض السّبع، فيحقّ له قتله.

ويقارن الفصلان الثّالث والرّابع بين اليهود و«الأغيار» ومدى تمسّك كلّ منهما بمعتقداته، وموقف اليهود و«الأغيار» من القتل، ويستخلص المؤلّفان أنّ اليهود يُسمح لهم بقتل الآخرين أكثر ممّا يسمح للأغيار بقتل أناس من الأغيار الآخرين.

الحكم بالقتل

أكّد المؤلّفان في الفصل الخامس الذي جاء تحت عنوان: «قتل الأغيار في الحرب»، أنّه ينبغي قتل المقاتلين الذين يشاركون في الحرب ضدّ إسرائيل

وأيّ مواطن في المنطقة أو الدّولة المعادية، ويعطي المؤلّفان أسباباً تسمح بقتل المدنيّين الأبرياء، فيذكران أنّ «قسماً كبيراً من الخبث والشّرّ الموجود في داخل هؤلاء المدنيّين الأغيار» ينبع من مخالفاتهم للفرائض السّبع، ومن هنا، «لنا شأن في تنفيذ الحكم بحقّهم وقتلهم بسبب مخالفاتهم هذه»، ولذلك، «قرّر حكماؤنا العظماء أنّ أفضل الأغيار في فترة الحرب «هو الميّت»، إذ لا يوجد مجالٌ لإصلاحهم لأنّ خطرهم وخبثهم عظيمان، أمّا في شأن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين يوم واحد وسنّ الرّشد، والذين بطبيعة الحال لا يخالفون الفرائض السّبع لعدم إدراكهم لها أو سماعهم عنها، فبالإمكان قتلهم «بسبب الخطر المستقبليّ الذي يشكّلونه إذا سمح لهم بالعيش ليكبروا فيصبحون أشراراً مثل أهلهم»، ويضيف المؤلّفان: «بطبيعة الحال يُسمح بقتل الأطفال، والمدنيّين الآخرين كذلك، الذين يحتمي بهم «الأشرار»، فيجب قتل «الأشرار»، حتّى وإنْ أدّى ذلك إلى قتل الأطفال والمدنيّين».

استهداف المدنيّين الأبرياء

في الفصل السّادس الذي جاء تحت عنوان: «استهداف الأبرياء»، أباح المؤلّفان قتل الأبرياء في إسرائيل «الدّولة الصّالحة» لأن اليهود هم الذين يقومون بإصلاح العالم، وهم الذين يقومون كذلك بإيصال كلام الله، وخاصّة الفرائض السّبع، إلى العالم بأسره».

كذلك، يحتلّ الانتقام مكانة مهمّة للغاية في الفصل السّادس من كتاب «عقيدة الملك»، ويحيطه المؤلّفان بهالة من القدسيّة، ويؤكّدان أنّه ينبغي

لإسرائيل الانتقام من الفلسطينيّين، فالانتقام هو أحد الضّرورات المهمّة التي توجب قتل «الأشرار»، وهو حاجة ضروريّة في سبيل هزيمة «الأشرار» والانتصار عليهم.

ويضيف المؤلّفان: «يجب عدم استثناء أحد عند قيام إسرائيل بالانتقام، فجميع الفلسطينيّين معرّضون للانتقام، وأمام الانتقام لا أحد بريء: الكبار والصّغار والأطفال، الرّجال والنّساء. ومهْما كانت حالتهم، ينبغي الانتقام منهم»، ويبرّر المؤلّفان قتْل الأطفال: لاسيّما الرُّضَّع منهم، والذين وُلدوا لتوِّهم، باستنادهما إلى قيام «أبناء إسرائيل» بقتل صغار أطفال «مدين» في الزّمن الغابر.

ويستمرّ المؤلّفان في تعداد الأسباب التي تستدعي قتل الأطفال الفلسطينيّين فيذكران أنّ في الإمكان التّعامل مع وجوب قتل الأطفال الفلسطينيّين على أساس أنّ القدر اختار أن يكون في قتلهم بالذّات إنقاذٌ لليهود، وفي الوقت نفسه، فإنّ قتلهم يمنع وقوع الشرّ، «بالإضافة إلى ما ذكرناه في الفصل السّابق، أنّهم بطبيعة الحال متّهمون في أنّهم سيصبحون أشراراً عندما يكبرون».

من الملاحظ أنّ كتاب «عقيدة الملك» يقرر عقوبة القتل على أي مخالفة يرتكبها الأغيار، ولا توجد في الكتاب عقوباتٌ أخرى مثل السّجن أو فرْض الغرامة أو ما شابه، ومن الملاحظ أيضاً أنّ الكتاب لا يعترف بالقوانين الدّوليّة المتعلقة بالحرب وبحماية المدنيّين في أثناء الحرب، وتلك القوانين الإنسانيّة الدّوليّة المتعلّقة بمنع إبادة الشّعوب وبمعاقبة مرتكبيها، وربّما يأتي

هذا الأمر لأنّ الكتاب يفترض، كما يعتقد كثير من الإسرائيليّين، أنّ إسرائيل فوق هذه القوانين الدّوليّة.

إن الأفكار الواردة في كتاب «عقيدة الملك» تتبنّاها قطاعاتٌ واسعة جدّاً من المستوطنين اليهود في الضّفّة الفلسطينيّة، وفئات واسعة من اليهود المتديّنين الصّهيونيّين واليهود المتديّنين «الحريديم» في داخل إسرائيل، وكبار الحاخامات، كما أن المدارس الدّينيّة اليهوديّة (اليشيفوت) القائمة في المستوطنات الإسرائيليّة وفي داخل إسرائيل، تقوم بتثقيف وتربية آلاف الطّلاّب على الكراهية والحقد والأفكار المعادية للفلسطينيّين والمنادية بطردهم وقتلهم، مما أدى عملياً إلى قيام المستوطنين، وتحت رعاية الحكومة الإسرائيليّة وحماية جيش الاحتلال الإسرائيليّ، بالاعتداء على الفلسطينيّين وممتلكاتهم ومقدّساتهم، بما في ذلك مهاجمة بلداتهم وقراهم وقَطْع أشجار حقولهم وحرْق مزروعاتهم ومساجدهم لتحويل حياتهم إلى جحيم لا يطاق كمقدّمة لترحيلهم، وتجلى ذلك في نشوء تنظيم يهوديّ عسكريّ سرّيّ تحت اسم «تاج محير» (تدفيع الثّمن) سنة ٢٠٠٩ من بين صفوف هؤلاء الحاخامات وطلاّبهم في «اليشيفوت» الموجودة في المستوطنات في الضّفّة الفلسطينيّة المحتلّة.

تجديد فتوى القتل

في شهر حزيران ٢٠١١، جدد الحاخام المتطرف «إسحاق شابيرا» فتاواه الداعية إلى قتل غير اليهود، وذلك من خلال الجزء الثاني من كتاب «عقيدة الملك»، والذي يتضمن فتاوى تبيح قتل أي شخص غير يهودي، بما في ذلك

الأطفال الرضع من العرب.

إغلاق ملف التحقيق الجنائي

في شهر تموز ٢٠١٢ قرر المستشار القانوني للحكومة الإسرائيلية؛ يهودا فاينشطاين، إغلاق ملف التحقيق الجنائي مع مؤلفيّ كتاب «عقيدة الملك»، وهما الحاخامان يتسحاق شابيرا ويوسف اليتسور، وضد الحاخامات دوف ليئور، ويستحاق غينزبورغ، ويعقوب يوسف، الذين كتبوا مقدمة الكتاب وأوصوا به، بادّعاء عدم توفر أدلة كافية لإدانتهم.

